أرقام 4

العدد ٤ | ٣ أيلول ٢٠٢٣

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

سجـال مفتوح على هيئة مطبوعة تصدر عن أمم للتوثيق والأبحاث

عن صديقي #سعيد_الجن:
«المُحافَظَةُ على أطْلالِ «الدَّوْلَة» يَقْتَضي،
في عِدادِ ما يَقْتَضي، تَوْهينَ «الدّوَيْلَةِ» وإضْعافَها.
أثْمانُ التَّوهينِ بَخْسَةٌ مَهْما بَدَت، لِلْوَهْلَةِ الأولى، باهِظَةً...».

الإلغاء أولى من الإصلاح:
وقفة مع المؤسسة الدينية الرسمية الشيعية في خضم قرار التبليغ الديني

الشيخ محمد علي الحاج

النصّ كرمى لِلُقمان، ولروحه الطاهرة:

بعدما أبليتُ بلاءً حسَناً في مكافحة فساد المؤسسات الدّينية الرسمية الشيعية في لبنان، وعلى رأسها المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كنتُ أخذتُ على نفسي أن أكتفي بذلك القدْر، ولا أتدخل في هذه المعمعة، بل اعتذرتُ مراراً من عدد من الوسائل الإعلامية التي كانت تريد إجراء أحاديث ومقابلات معي حَيال المجلس وما يجري فيه، وتحديدًا بعد القرار الأخير لإدارة التبليغ الدّيني. لكن حينما طُلِب مني من قِبَل مسؤولي نشرة «الفان رقم ٤» الصادرة عن "أمم للتوثيق والأبحاث" التي أسّسها الراحل لقمان سليم شعرتُ أنني لا أستطيع البقاء على نَذري بالصوم عن الكلام، ليس وفاءً لروح الشهيد لقمان سليم (رضوان الله عليه) فقط؛ بل لكون الراحل الكبير كان شريكاً حقيقيًّا في الحركة الإصلاحيّة على مستوى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وكان شجاعًا مِقدامًا، وأسّسنا معاً «الهيئة المستقلة لمتابعة شؤون المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى»، ناهيك عن اشتراكنا بالدعوى التي أقمناها في «مجلس شورى الدولة»، التي كانت سابقة بتاريخ المجلس الشيعي، كوننا أوّل مَن بادرَ لمقاضاته أمام السلطات الرسمية اللبنانية.

> القانوني الكبير «محسن سليم» كان من مؤسِّسي وأركان المجلس الشيعي في العهد الأوّل له

ولُقمان «العلماني» كأنّه كان يحاول أن يكفّر عن ذنْبِ والده القانوني الكبير «محسن سليم» الذي كان من مؤسِّسي وأركان المجلس الشيعي في العهد الأوّل له، والذي دعَم السّيد موسى الصدر، ووقف إلى جانبه في العديد من المحطات... باعتبار أن المجلس الشيعي قد يكون ضرورة في حقبة ماضية، لكن الضرورة اليوم تفرض إلغاء هذه المؤسّسة... فكان هذا النص إهداءً ووفاءً لروح الحبيب لُقمان.

مدخل

قضية فيها الكثير من «التكاذُب الجَماعي» إن صح التعبير، أقلّها لأنه ليس لها بُعد سياسي، كما أوحى أكثر من طرف، القضية لها بُعد واحد، أو بالأحرى دلالة واحدة واضحة بأن هذه المؤسسة تتداعى، بل في طور التلاشي، بعدما فقدَت مبرّر وجودها، وانتَفَت الحاجة إليها، بل ألغاها مرور الزمن... «فقدَت مبرّر وجودها» الذي هو حماية التنوّع السياسي لدى الشيعة في لبنان، وإنصاف أبناء الطائفة.

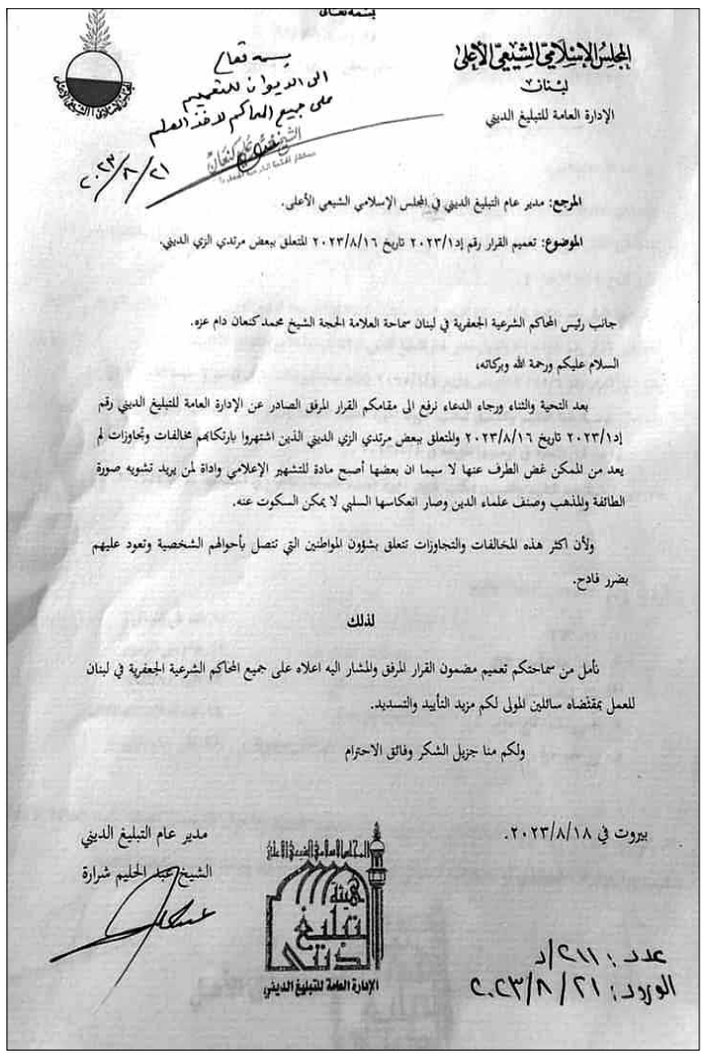

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لبنان
الإدارة العامة للتبليغ الديني

المرجع: مدير عام التبليغ الديني في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

الموضوع: تعميم القرار رقم إد١/٢٠٢٣ تاريخ ٢٠٢٣/٨/١٦ المتعلق ببعض مرتدي الزي الديني.

جانب رئيس المحاكم الشرعية الجعفرية في لبنان سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد كنعان دام عزه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

بعد التحية والثناء ورجاء الدعاء نرفع الى مقامكم القرار المرفق الصادر عن الإدارة العامة للتبليغ الديني رقم إد١/٢٠٢٣ تاريخ ٢٠٢٣/٨/١٦ والمتعلق ببعض مرتدي الزي الديني الذين اشتهروا بارتكابهم مخالفات وتجاوزات لم يعد من الممكن غض الطرف عنها لا سيما ان بعضها أصبح مادة للتشهير الإعلامي واداة لمن يريد تشويه صورة الطائفة وللمذهب وصنف علماء الدين وصار انعكاسها السلبي لا يمكن السكوت عنه.

ولأن اكثر هذه المخالفات والتجاوزات تتعلق بشؤون المواطنين التي تتصل بأحوالهم الشخصية وتعود عليهم بضرر فادح.

لذلك

نأمل من سماحتكم تعميم مضمون القرار المرفق والمشار اليه اعلاه على جميع المحاكم الشرعية الجعفرية في لبنان للعمل بمقتضاه سائلين المولى لكم مزيد التأييد والتسديد.

ولكم منا جزيل الشكر وفائق الاحترام

بيروت في ١٨/٨/٢٠٢٣.

مدير عام التبليغ الديني
الشيخ عبد الحليم شرارة

الإدارة العامة للتبليغ الديني
عدد: ٢١١/د
الوارد: ٢١/٨/٢٠٢٣

و«انتَفت الحاجة إليها» بعدما مات الكبار الذين كانوا فيها، والذين كانت لديهم تطلعات وآفاق أميَز وأرحب، وعلى رأسهم السّيد موسى الصدر، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والشيخ خليل ياسين، والسيد هاشم معروف الحسَني، والشيخ موسى شرارة، والسيد محمد علي الأمين، والسيد هاني فحص، والشيخ سليمان اليحفوفي، والسيد عباس أبو الحسن. طبعًا مع كامل الاحترام والتقدير لمن بقي من أعضاء المجلس الشيعي القُدامى: الشيخ حسن عواد، والسيد كاظم إبراهيم، والشيخ خليل شقير حصرًا.

و«ألغاها الزمن» لأنه لم نعد بحاجة إلى مؤسّسات دينية في بُنية الدولة الإدارية في لبنان - بل وفي كل دول العالم - وعصرنا الراهن ألغى وسيُلغي كل هذه الدكاكين التي لا ثمرَة منها، بل كلها ضرر وأذية، والدّين هو المتضرر الأوّل منها قبل الدول والأنظمة والمجتمعات.

وباختصار؛ فإن الصراع القائم بين رجال الدين - سواء في المجلس الشيعي أو أخصامهم خارجَه - ليس صراعًا دينيًّا ولا سياسيًّا؛ بل هو صراع بين التخلّف والرجعيّة، بين الذين يتاجرون بالإصلاح، ويستغلّون شعارات برّاقة لا طائل منها، سوى أنها تَلقى آذانًا صاغية، وبين أشخاص

لبنان ممرٌّ للذخائر ومقرٌّ للمؤسّسات المهترئة

في البيان الوزاري الذي عكَس روحيَّة الميثاق الوطني والذي تلاه رياض الصلح إيذانًا بإعلان حكومة الاستقلال الأولى أنَّ لبنان لن يكون للاستعمار ممرًّا أو مستقرًّا، ويعطف الأمر في السطر ذاته بأن يكون وطنًا عزيزًا مستقلًّا سيّدًا حرًّا.

وفي بيان رُعاة «الإخوة المعنيين بإيصال» شاحنة الأسلحة المنقلبة على منعطف الكحّالة مطلع الشهر الماضي والتي أعلن حزب الله امتلاكه لها، أنَّ «ميليشيات» من الأهالي في المحلّة تجمّعت واعتدَت على أفرادها ومنعوها من متابعة «سيرها إلى مقصدها»، فيه أنَّ لها مقصد لا نعلم مكانه، ولكنّنا نعي دلالته وهو أن تكون البلاد منصّة لإطلاق القذائف وتخزينها وأن تكون في حرب أو في استعداد دائم لها، وفيه أنَّ ممرّها هو طول البلاد وعرضها، وأن هذه البلاد مُستقرٌّ لوصول شحنات الأسلحة وتخزينها، وفيه أنَّ شكل البلاد هو الرسالة، لكن لا بقصد ما تحويه من معنى وأهداف ساميَة وثقافة إنما بالمعنى المباشر للإرسال، لرمي المقذوفات من فوق رؤوس الناس وبين بيوتهم وعلى أجسادهم، من دون أن يكون لهم إلّا خيار المشاهدة، التي عليها في أحسن أحوالها أن تكون صامتة وإلّا أصبحت «خبيثة» وتسعى إلى الفتنة الطائفيَّة على ما قال خطاب مالك الشاحنة والشحنات والعبوات.

وفي حال كونها على هيئة ممرّ وطريق ومنعطفات، وبسببه، تستمر البلاد في سقوطها العام نحو التطبيع مع الاهتراء التام في مختلف مؤسساتها العامّة منها والخاصة، من تعليم وصحة وقضاء وخدمات وبيئة، وبالمقابل يصبح الاعتراض على هذا الواقع ضربًا من ضروب التهوّر الذي يستدعي الإهانة على شكل اعتذار بعد «سحسوح». ومن ضروب الاهتراء أيضًا وعلى شاكلته يطفو على سبيل المثال العطب في المؤسّسات المكلّفة إدارة شؤون الطائفة الشِّيعيَّة الشرعيَّة والقضائيَّة فاضحًا ومعبّرًا عن شكل التسيّب فيها على شكل البيان الذي مُهِر بتوقيع هيئة التبليغ الديني في المجلس والذي يستهدف فيه ١٥ شيخًا باعتبارهم غير مؤهّلين لارتداء الزّيّ الديني مع ما يترتب على ذلك من تَبِعات على عملهم التبليغي والقضائي وغير ذلك. ورغم أنَّ نائب رئيس المجلس الإسلامي الشِّيعي الأعلى أصدَرَ قرارًا يردّ فيه القرار المذكور أعلاه، ويعتبره بحكم ما هو غير كائن، فإنَّ ذلك يؤكّد على أن هذه المؤسّسة تتجذّر في كونها منصّة وممرًّا لإطلاق المواقف وتسجيلها وتصفية الحسابات وإرسال الرسائل من دون أن تلعب الدور المناط بها في إدارة شؤون الطائفة اليوميَّة.

محتويات العدد

الإلغاء أولى من الإصلاح (الشيخ محمد علي الحاج) ..... صفحة ١ و ٢
"اكسبرس الضاحية": "عيون" الطائفة... وأمنها؟ (أدهم جابر) ..... صفحة ٣ و ٤
منشورات «أمم» : حتى إشعار آخر ..... صفحة ٤
الواقع الصحي جنوبًا: الطبابة لأزلام الثنائي، والجنوبيّون عُرْضةً للابتزاز (كريم حمادة) ..... صفحة ٥
لبنان في شهر آب: حرائق متنقّلة و«حزب الله» في مواجهة المكوّنات اللبنانيَّة... (حسين سليمان) ..... صفحة ٦ و ٧
النّخوة والعمالة في خطاب حزب الله... الكحّالة نموذجًا (رنا شمص) ..... صفحة ٧
المرأة: أنجو ريحان - فكر وثقافة: الشيخ محمد علي الحاج - عائلات وأنساب: آل الحاج ..... صفحة ٨
جغرافيا وسكّان: شحور - لوحات: شهيد ولّى زمانه ..... صفحة ٩
من ديوان الذاكرة اللبنانية: الموسوي: بري يتعامل مع أميركا وعلماء الشّيعة لا يبايعونه! ..... صفحة ١٠
«أمم» في أبحاثها: شيعة لبنان والفلسطينيون، تاريخ متشارَك و«قضية» تُستثمر ..... صفحة ١١
تحية للقمان: العلاّمة السيد علي الأمين ناعيًا لقمان سليم ..... صفحة ١٢
أفضل الموت القتل.. وداعًا لقمان سليم (الشيخ محمد على الحاج) **- سير التحقيق** ..... صفحة ١٢

فرَضهم غياب العمالقة والأفذاذ من الحوزويين، بل فرَضهم انعدام «أهل العلم والتقوى» في المجتمع الحوزوي الشيعي اللبناني.

قرار «التبليغ الديني»

من ناحية مبدئية إننا مع تنظيم سلْك رجال الدّين، لكن ليس بهذه الطريقة! نحن مع اعتماد معايير موحّدة، وهذا الأمر غير متوفّر...

وإذا كان «التبليغ الدّيني» قرّر اعتبار خمسة عشر معمّمًا بأنهم غير «مشايخ» فإننا لا نشكّ بأن الذين يُفترض نزع عماماتهم هم أكثر من ذلك بكثير، قد يعدّون بالمئات، ومع اعترافنا بأن من بين الأسماء الخمسة عشر من يُفترض أن يتمّ نزْع العمامة عن رؤوسهم، لكن يوجد من بينهم مَن يُشرّف العمامة، ويستحقها عن جدارة.

وبصراحة متناهية فإن إدارة المجلس الشيعي الراهنة، بل والسابقة لا يليق بها اعتمار تلك العمامة!!

والأمر الأكثر سوءًا هو أن البعض أدخل عنوان «الثورة» و«الثوار» إلى هذه المعمعة، وهذا تشويه للحقائق، بل هو استغلالٌ رخيص لجهود المناضلين اللبنانيين الشرَفاء، وأصبح هذا الشعار ممجوجًا كثيرًا... بل لا قيمة له.

بمعنى آخر لو كان هناك شخص مُذنِب وهو قد ركِب موجة الثوّار فليس هناك أدنى مانع من محاسبته، ولا تُعفيه (صفة الثائر) عن المحاسبة...

كما لو كان كل الذين على اللائحة من غير الثوّار وظُلموا بإدراج أسمائهم بطريقة غير مشروعة فيجب الدفاع عنهم، وإن لم يكونوا ثوارًا... «الثورية» لا تعصُم أحدًا عن الخطأ، و«الثورية» ليست امتيازًا، بل مسؤولية أخلاقية، ونضال من أجل المجتمع، وليس للاستغلال والمتاجرة...

وعليه؛ فالمعيار الذي يجب أن نُقارب الموضوع من خلاله هو الكفاءة أو عدمها، هو المسلك الصالح، والتحلّي بالفضائل والقيَم...

> آن الأوان ليَعي اللبنانيون بأن المؤسسات الدينية تهدف لترسيخ النظام الطائفي، وهي مؤسسات تخدم السلطة السياسية ولا حاجة دينية لها

فمثلاً هل يمكن أن نمنع محاسبة مدّعي الطبّ لكونه ثائرًا؟! أم ننظر لشهاداته وثقافته ومستواه العلمي؟ وكذا مَن يريد أن ينتسب إلى نقابة المحامين مثلًا... ليس المعيار أنه ثائر أم لا، بل تحصيلُه للعلم، والجدارة، والتدرُّج...

وقفة مع الفعل وردّ الفعل

إذا أردتُ أن أكون مُنصِفاً فإن الخطأ صدَر عن كل الجهات؛

أمّا "هيئة التبليغ الدّيني" فلعدّة أسباب: الانتقائية، وعدم وضع معيار موحّد، والخلْط بالمحاسبة بين الشأن العلمي، والمسلَكي، والعقيدي، وسواه من قضايا خاصّة، والأهم هو عدم القيام بدَور المصوّب والناصح، والواعظ... الذي كان يجب أن تقوم به «هيئة التبليغ الدّيني». وهذا الكلام للمرحوم المحقق السيد جعفر مرتضى الذي وبّخ أحد طلَبة العِلم (من آل فضل الله، حينما عرَض عليه فكرة تنظيم الحوزات...) وصرّح بنيّته أخذ قرار بنزْع عمامة البعض، فصرخ السّيد مرتضى بوجهه قائلًا: «واجبنا أن نسعى للهداية، ولتصويب المسلَك، والوعظ... قبل إصدار الأحكام ونزع العمامة...».

وأمّا رئاسة المجلس الشيعي فقد تسرّعت بقرارها الارتجالي، وهو دأبُها في معظم المواقف، كذلك لم تفرض حلًّا، بل ظهَر أن موقفها جاء في باب «النكايات»... ناهيك عن كون موقفها جاء سطحيًّا للغاية، علمًا بأن «هيئة التبليغ الدّيني» أصدرت عدّة مرّات قرارات مماثلة، ولم تكن هذه القرارات ممهورة بتوقيع رئيس المجلس، فلماذا فقط هذه المرّة يحتاجون لتوقيعه؟!

وفي ما يخصُّ المعمّمين الذين أُخذ القرار بحقّهم، فبعضهم حاول تسييس الأمر، لكي يستعطف جهات سياسية معيّنة، وبعضٌ آخر صار يُبالغ بمكانته العلمية، بل أكثريتهم،

وبعضٌ ثالث صار يتودّد لجهّات سياسية علّها تحميه من هكذا قرار... وبالمحصّلة فإن أداءهم في هذه المعمعة كان لا يليق بالبعض، لا بل حتى إن تصرفات بعضهم تؤكّد صحة عمل إدارة التبليغ(!!!) لا سيما أولئك الذين صاروا يتحدّثون «الآن» عن فساد المجلس الشيعي، فظهَر بأن حديثهم جاء ردّة فعل، ونتيجة مصالح خاصة! وقسم منهم كان ينتقدُنا حينما فتَحنا ملف إصلاح المؤسسات الدّينية الرسمية الشيعية، واليوم يتحدّث عن فسادها لأنه تأذّى منها!!

وبالنسبة لمصادقة المحاكم الشرعية الجعفرية على القرار، فإنه بمعزل عن عدم قانونية ذلك من ناحية مبدئية - لا داعي للاسترسال في توضيح المطلب في هذه العجالة - لكن هل دور هذه المؤسسات يقتصر على «تصفية الحسابات» فقط؟! ألا يوجد بُعدٌ ديني شرعي أخلاقي لها؟! ألا يجب أن يتصرّف علماء الدين من منطلق تَقوائي فيه مخافَة الله، وحرصٌ على عباد الله، ورأفة ورحمة ومحبة؟! هل نسوا صفتهم الأساسية وصاروا يتعاطون كأنهم مجرّد «موظفو دولة» لا تهمّهم إلا مصالحهم الشخصية؟!

الوعي المتأخر:

واضح بأن المجتمع اللبناني عمومًا، والمجتمع الشيعي خصوصًا، توصّل لما كنا ننادي له منذ أكثر من عقْدَين من السنين، ولذلك استعملت العديد من الأدبيات التي كنّا قد طرحناها بقوة في مرحلة سابقة.

لم نستغرب ما حصل كوننا تصدّرنا الصراع ضد قيادة المجلس الشيعي في مرحلة حسّاسة، بل ضد الثنائي الذي يحكُم ويتحكّم بالمجلس عبر غُرف أمنية وعسكرية... حذّرنا من المخالفات التي فهمها البعض اليوم...

ضرورة إلغاء المجلس

وإذ كنتُ أُوجز في الكلام فهذا لا يعني أنني لا أتطرّق إلى قضية لطالما ناديَنا بها سابقًا ونؤكّد عليها راهنًا؛ وهي أن الأصوَب هو إلغاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، بل وكل المؤسّسات الدّينية الرسمية سواء لدى الشيعة أو لدى السُّنّة والدروز والعلويين. آن الأوان ليَعي اللبنانيون بأن هذه مؤسّسات تهدف لترسيخ النظام الطائفي، وهي مؤسّسات تخدُم السلطة السياسية ولا حاجة دينية لها، بل على العكس، لها ضرر كبير على الدّين وأتباعه.

كم كان بُعد نظرنا صائبًا حينما طرَحنا إلغاء كافة المؤسّسات الدّينية الرسمية في لبنان في حقبة مُبكرة! وهذا مدوّن بوضوح في إصداراتنا العديدة في هذا المجال، وبعض هذه النصوص منشورٌ منذ أكثر من عقدٍ ونصف من الزمن...

وما تبنيناه هو ما طرَحناه في الحفل الذي أقمناه بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى (١٩٦٩/ ٢٠١٩) حيث قلتُ ردًّا على أحد كبار رجال الكنيسة المارونية الذي اعترض على دعْوتي لفكّ العلاقة بين السلطتين السياسية والدّينية: «فليسمح لنا إخواننا المسيحيين بأن نفكّ ارتباطنا كمسلمين بالدولة كما فعلوا هُم» على اعتبار أن المرجعيات الدّينية المسيحية في لبنان لا يوجد أي سلطة للدولة عليها، بخلاف الواقع لدى المؤسّسات الإسلامية التي هي أحد أسلاك الدولة اللبنانية، وهي تتبَع لرئاسة مجلس الوزراء... وهذا أمر غير مقبول بتاتًا، بل فيه إهانة لأهل العِلم الحقيقيين.

> ينتخب رئيس المجلس الشيعي
> ٣٩ شخصًا مدنيًّا
> و١٢ رجل دين فقط

المجلس الإسلامي الشيعي «مؤسّسة غير دينية»

وتوضيحًا للأمر أكثر؛ فإن المجلس الشيعي - كما دار الفتوى، ومشيَخة العقل - مؤسّسة سياسية رسمية بامتياز، ولا أريد أن أكون قاسيًا فأقول بأنّه مؤسّسة ضد الدّين، بل أكتفي بالقول الصريح والواضح بأن هذا المجلس هو يَد «السياسيين» للتسلّط على رِقاب عُلماء الدّين والفُقهاء وأهل الوَرَع والتقوى منهم.

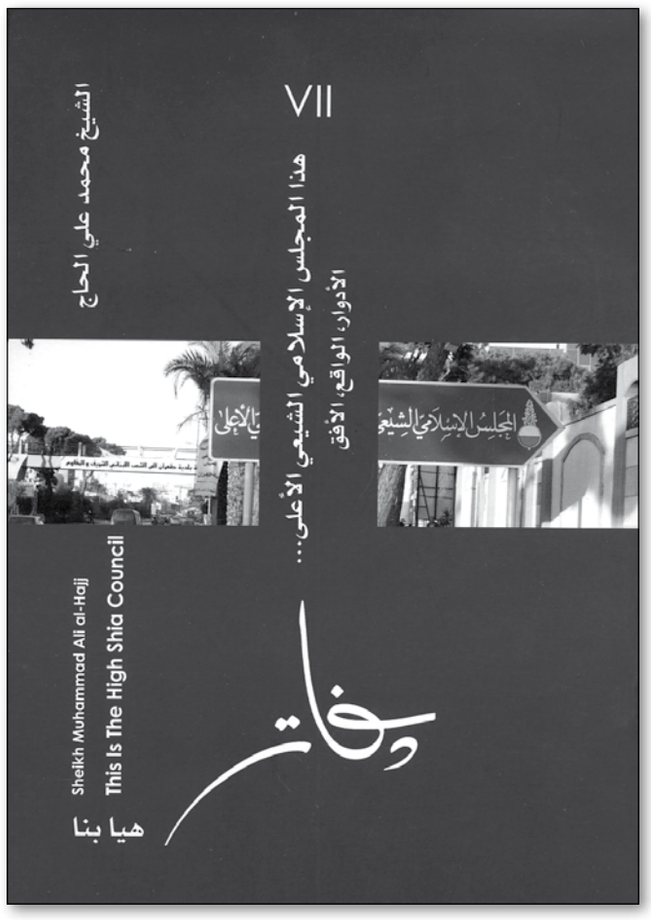

يُعيَّن رئيس المجلس الإسلامي الشرعي من قِبَل «الأفندية» بتعبيرنا الصريح... وهو ليس منصَّبًا من قِبَل المرجعية، ولا من قِبَل الحاكم الشرعي.

فلنلاحظ الفرق بين طريقة تعيين البطريرك مثلاً وبين طريقة تعيين رئيس المجلس الشيعي، فالبطريرك ينتخبه رجال الدّين (المطارنة)، لكن هل رئيس المجلس الشيعي ينتخبه رجال الدّين فقط؟! لو كان ينتخبه رجال الدّين فقط لكان وجَب اعتبارُه مرجعية دينية، لكن رئيس المجلس الشيعي يُنتخَب من قِبَل ١٢ رجل دين (الهيئة الشرعية) و١٢ رجلًا مدنيًّا (أعضاء الهيئة التنفيذية) إضافة إلى نواب الطائفة (٢٧ نائباً)، ما يعني أن رئيس المجلس الشيعي يُعيَّن بانتخاب ٣٩ شخصًا مدنيًّا و١٢ رجل دين!! وبناء عليه، لو اقترع المدنيون لشخصٍ ما لأصبح هو رئيسًا لمجلس الطائفة، ولو لم ينتخبه أيّ معمّم!!

> رئيس المجلس الشيعي يُعيَّن من «الأفندية» لا من قِبَل المرجعية، وليس من قِبَل الحاكم الشرعي

وبالتالي فإن رئيس المجلس الشيعي هو شخصية سياسية بقالبٍ ديني وبمضمون سياسي، ويتبع للسّلطة، ويأخذ تمويلَه منها، ويُعتبر أحد أعوانها؛ وعليه، فقد آن الأوان لنتّجه للتفكير ببناء دولة حديثة مُعاصرة، تحترم الدّين وأهله، وتترك لرجال الدّين حرية تنظيم بيتهم الداخلي، كما تفعل المرجعيات المسيحية في العالم، بل كما هو شأن مرجعية الشيعة تاريخيًّا.

"اكسبرس الضاحية": "عيون" الطائفة... وأمنها؟

أدهم جابر

لـم يتغيّـر المشـهد تحـت جسـر السـلطان إبراهيـم كثيـرًا، غيـر أن "إكسـبرس السُّـلطان" تقلّصـت مسـاحته إلـى درجـة لـم تعـد تتجـاوز الثلاثـة أمتـار مربعـة تقريبًـا، هـذا «الإكسـبرس» الـذي كان فـي يـوم مـن الأيّـام عبـارة عـن محـلٍّ كبيـر امتـدَّ علـى الرصيـف العـام وقـد بنـى مالِكُـه دوراتِ ميـاه إلـى جانبـه وسـيطر علـى مسـاحة مـن الرصيـف المجـاوِر حيـث وضـع طـاولات وكراسـيَ لاسـتقبال روّاده.

قبـل العـام ٢٠١٧ كانـت منطقـة اتّحـاد بلديّـات الضاحيـة الجنوبيَّـة مُتْخمـة بعـددِ مقاهـي الرصيـف التـي اصطُلـح علـى تسـميتها بـ «الإكسـبرس»، وهـذه الظاهـرة كانـت وليـدة سـنوات مـا بعـد الحـرب الأهليَّـة وكانـت منتشـرة، ليـس فـي الضاحيـة وحسـب، وإنمـا فـي بيـروت والمناطـق اللبنانيَّـة الأخـرى. وقـد نمـا عددُهـا إلـى أن تجاوز العشـرات فـي بيـروت وضواحيهـا، لكـن إصـرار البلديّـات التي تنتشـر فـي نطاقهـا هـذه المقاهـي علـى إزالتهـا أدّى إلـى تراجـع أعدادهـا بشـكل ملحـوظ مـع تغييـرات طـرأت علـى أشـكالها، ففـي بعـض البلديّـات أصبـح «الإكسـبرس» ذو مظهـر حَسَـن وبالتالـي وجَـدَت البلديّـات أنَّـه لا مانـع مـن وجـود مثـل هـذه المقاهـي لكـن ضمـن شـروط محـدّدة.

أماكن الانتشار

يـكاد لا يخلـو شـارع فـي ضاحيـة بيـروت الجنوبيَّـة مـن وجـود «الإكسـبرس»، ولكثـرة أعدادِهـا لـم يعـد بالإمـكان حصرهـا فـي عـدد محـدّد، غيـر أنَّ أشـهرها تلـك المُنتشِـرة علـى ٦ شـوارع رئيسـيَّة تبـدأ مـن بوليفـار كميـل شـمعون وصـولًا إلـى الشـويفات، ومـن حـيّ السُّـلّم مـرورًا بأوتوسـتراد «هـادي نصرالـه»، وصـولًا إلـى المشـرفيَّة، ومـن الكفـاءات باتجـاه الصفيـر مـرورًا بشـارع الجامـوس، ومـن حـيّ السُّـلّم (الموقـف القديـم) مـرورًا بالمريجـة والكفـاءات والرويـس وبئـر العبـد فالمشـرفيَّة (الطريـق القديـم)، ثـمَّ طريـق المطـار القديـم حيـث كانـت تنتشـر ظاهـرة «فانـات الإكسـبرس»، ويُضـاف إليهـا طريـق الأوزاعـي حيـث توجـد بعـض المقاهـي التـي لا تكتسـب صفـة الشـرعيَّة.

أوّلًا- الغبيري

علـى تخـوم بلـدة الغبيري مـع العاصمة بيروت «إكسـبرس السُّـلطان» الـذي وصـل فـي مرحلـة مـن المراحـل، كمـا ذكرنـا سـابقًا، إلـى مقهى كبيـر كان يُسـيطر علـى جـزء كبيـر مـن الرصيـف العام.

يتظلّـل «عصيـر السُّـلطان» بنصـف جسـرٍ ويطـلّ علـى مسـتديرة، «الإكسـبرس» الـذي اسـتمدّ اسـمه مـن المكـان (السُّـلطان إبراهيـم)، بنـاه شـخص مـن آل «قداحـي» برخصـة مـن بلديَّـة الغبيـري تحـت جسـر السُّـلطان إبراهيـم، وهـي رخصـة لـم تكـن صالحـة يومًـا، كَبُـر وصـار محَـلًا يحتـلّ نقطـة اسـتراتيجيَّة، يقـدّم «الكوكتيـلات» ويبيـع البوظـة، والحلويـات. لكـن هـذا الواقـع دفـع بلديَّـة الغبيـري إلـى التحـرك منـذ العـام ٢٠١٧ لتنظيـم هـذا النـوع مـن المقاهـي فتمكّنـت بعـد سِـجَال ونـزاع وصـل إلـى القضـاء فـي بعـض الأحيـان مـن وضـع حـدٍّ للتفلّـت الحاصـل فـي هـذا القطـاع، إلـى أنْ تمكّنـت فـي النهايـة مـن تقليـص حـدّ التعدّيـات مـن دون أنْ تتمكّـن مـن إزالتهـا نهائيًّـا، وعلـى هـذا الأسـاس صَغُـر مقهـى السُّـلطان وبـات عبـارة عـن كـوخٍ صغيـر، والمفارقـة الغريبـة هـو أنَّ صاحـب الكـوخ يمتلـك اليـوم محـل عصيـر كبيـر فـي إحـدى البنايـات القريبـة مـن الكـوخ لكنـه علـى الرغـم مـن ذلـك رفـض إزالـة الكـوخ، وذلـك باعتبـار أنَّـه ملتـزم بواجباتـه تجـاه البلديَّـة كمـا يقـول أحـد العامليـن لديـه!

فـي الجهـة المقابلـة مـن مسـتديرة «السُّـلطان إبراهيـم» محـلٌّ آخـر بنـاهُ أبـو رضـوان شـمص، حَمـل عنـوان «قهـوة شـمص»، لافتـة باللغة الإنجليزيَّـة، مضـى علـى هـذا «الإكسـبرس» عـزٌّ، كمـا يقـول أحـد روّاده، فقـد كان منـذ سـنوات قليلـة ماضيـة عبـارة عـن مقهـى كبيـر امتـدّ علـى مسـاحة تتجـاوز الخمسـين مترًا مـن الرصيـف، لكنـه مـع الحملـة التـي بدأهـا اتحـاد بلديّـات الضاحيـة الجنوبيَّـة، وتحديـدًا منـذ العـام ٢٠١٧، بـدأ بالتقلُّـص ليتحـوّل بـدوره، إلـى كـوخ صغيـر شـبيه بكـوخ قداحـي. ولطالمـا شـكّل كـوخ شـمص حجـة لأصحـاب «الإكسبرسـات» فـي نطـاق بلديّـات الضاحيـة الجنوبيَّـة، ذلـك أنَّ هـؤلاء علـى الـدوام كانـوا يرفضـون إزالـة أكواخهـم كلمـا طُلِـبَ منهـم ذلـك، متسـلّحين بعبـارة واحـدة «إنْ أزلتـم إكسـبرس شـمص نُزيـل أكواخنـا». ولهـذا الكـوخ قصّـة وتاريـخ مـع المنطقـة، فشـمص كمـا يقـول، كان قـد حصـل علـى رخصـة مـن بلديَّـة الغبيـري قبـل فـوز رئيسـها الحالـي معـن الخليـل برئاسـة البلديَّـة، وكانـت الرخصـة تشـتمل علـى وضـع ماكينـة لصنـع القهـوة تحـت جسـر السُّـلطان إبراهيـم، لكنـه انتقـل إلـى ضفتـه لاحقًـا. وسّـع شـمص «قهوتـه» فبنـى أوّل غرفـة زجاجيَّـة ثـمَّ أتبعهـا بأخـرى، ولـولا إزالـة بلديَّـة الغبيـري لإحداهـا منـذ أشـهرٍ لوَصَـلَ محلّـه إلـى أوّل الأوزاعـي.

ينسـب شـمص لنفسـه إنجـازات مـا كانـت لتتحقّـق «لـولا هـذا الإكسـبرس». يقـول: «بسـبب وجـودي هنـا، لـم يعـد يأتـي الزّعـران إلـى المنطقـة. تحـت هـذا الجسـر كان يلتقـي تجّـار المخـدّرات والمروّجيـن وكانـت الإشـكالات تقـع يوميًّـا، ضَـرْب بالعصـيّ والحجارة والسِّـلاح الأبيـض وأحيانًـا كان يحـدُث إطـلاق رصـاص، لكـن هـذه المظاهـر انتهـت بوجـودي».

> أبو رضوان: «نحن لسنا عيونًا لأي طرف هنا، نحن عيون الطائفة فقط»

وعمّـا إذا كان يعمـل لمصلحـة بعـض الأجهـزة الأمنيَّـة الرسـميَّة أو الحزبيَّـة ينكُـر أبـو رضـوان ذلـك بانفعـال: «نحـن لسـنا عيونًـا لأي طـرف هنـا، نحـن عيـون الطائفـة فقـط»، ثـمَّ يسـتفيضُ بالحديـث عـن الحرمـان الـذي قاسَـتْه وتعانيـه الطائفـة الشِّـيعيَّة فـي كل المناطـق.

فـي هـذه المنطقـة (السُّـلطان إبراهيـم) لـكل صاحـب «إكسـبرس» قصّتـه، التـي تختلـف عـن الآخـر، ومـن هـؤلاء ع. ناصـر الدّيـن، خيمتُـه زرقـاء، لكنـه أخضـر الانتمـاء، هـو ابـن «أمـل المحرومين»، يرفـع رايـات الحُسـين السـوداء فـي سـبيل «قـرش أبيـض».

حُلُـم الشـاب الأربعينـي الوالـد لخمسـة أطفـال، ليـس الوصـول إلـى القمـر، بـل «شـرطي بلديَّـة، حـارس، موظّـف فـي مبنـى البلديَّـة، لا فـرق، المهـمّ ألا أجـدَ نفسـي علـى الطريـق، فأنـا لا أملـك منـزلًا وأسـكن بالإيجـار، وهـذا الإكسـبرس يؤمِّـن لـي بعضًـا مـن رزقٍ لسـدِّ جـزءٍ مـن النفقـات» يقـول، وبنظـرة الحائـر يلتفـت إلـى كُوخـه: «اذهـب وانظـر مـاذا ترتـدي زوجتـي فـي رِجْلِهـا، فـي الصبـاح قلـت لهـا نعمـل اليـوم والعصـر أذهـب لأشـتري لـك شـحّاطة».

يقـدّر عـدد مقاهـي «الإكسـبرس» فـي نطـاق بلديَّـة الغبيـري بمـا يزيـد علـى الـ٤٠ مقهًـى، لكـن هـذه المقاهـي لـم تعـد تكتسـب جميعهـا صفـة المخالفـة ذلـك أنَّ البلديَّـة تمكّنـت مـن تنظيمهـا ضمـن أُطُـر معيّنـة إذ حـدّدت مسـاحاتها وأشـكالها وطريقـة عملهـا مقابـل رسـوم تتقاضاهـا لمصلحتهـا منهـا، وقـد أصبحـت هـذه الأكـواخ وفـق وجهـة النظـر الحاليَّـة «قانونيَّـة» علمًـا أنّهـا لا تـزال تنتشـر علـى الأرصفـة العامّـة بطريقـة عشـوائيَّة فـي بعـض الأحيـاء. ووفقًـا لمصـدرٍ فـي بلديَّـة الغبيـري إنْ مـا اتّخذتـه البلديَّـة مـن إجـراءات أخَـذَ فـي الحسـبان أنَّ تأميـن الضمـان الصحّـي وضمـان الشـيخوخة وفُـرَص العمـل للمواطنيـن ليـس مـن مسـؤوليَّة البلديّـات وإنَّمـا مـن مسـؤوليَّة الدولـة التـي يقـع علـى عاتِقهـا النظـر فـي شـؤون مواطنيهـا وشـجونهم.

ثانيًا- برج البراجنة

مـن مفـرق بـرج البراجنـة فـي الأوزاعـي إلـى طريـق المطـار، يمتـزج الهـواء برائحـة القهـوة. «ماكينـات» ثُبّتـت كيفمـا اتفـق. يَركُـنُ زبـون سـيارته طلبًـا لفنجـان قهـوة عنـد أحـد تقاطعـات طريـق الأوزاعـي فتختنـق المنطقـة بزحمـة السـير! وصعـودًا باتجـاه طريـق المطـار القديـم، فـإن أشـهر مـا فـي المنطقـة ٤ «إكسبرسـات» أصحابهـا مـن آل جعفـر وزعيتـر وحمـدان بالإضافـة إلـى «إكسـبرس» الرضـوان الـذي يملكـه شـخص مـن التابعيَّـة السـوريَّة، وهـذه «الإكسبرسـات» العاملـة فـي نطـاق بلديَّـة بـرج البراجنـة والغبيـري لا شـرعيَّة، بحسـب مـا يقـول مصـدر فـي بلديَّـة البـرج، مشـيرًا إلـى أنَّ بلديّتـه حاولـت مـرارًا وتكـرارًا إزالتهـا أو إيجـاد صيغـة شـرعيَّة لهـا لكنّهـا لـم تتمكّـن مـن ذلـك. ويقـول المصـدر: «أصحابهـا أقـوى مـن الدولـة».

ومـن هنـاك إلـى طريـق المطـار القديـم فـإن مشـهدًا جديـدًا لـم يكـن مألوفًـا فـي السـابق بـرز حديثًـا، «فانـات الاكسـبرس» التـي كانـت منتشـرة علـى طـول الطريـق لـم تعُـد موجـودة علـى الطريـق العـام بـل تراجعـت إلـى مـا بعـد الرصيـف واكتفـى أصحابُهـا بعـرض بعـض عبـوات المـاء علـى الشـارع للدلالـة علـى أنَّـه يوجـد «إكسـبرس» فـي المـكان. وقـد نتَـجَ ذلـك عـن جهـد لبلديَّـة بـرج البراجنـة التـي تمكّنـت مـن إزالـة تلـك الفانـات مسـتخدِمة شـرطتها بمـؤازرة مـن قـوى الأمـن الداخلـي والجيـش وبالاسـتناد إلـى قـرار قضائـي اسـتحصلت عليـه، كمـا يقـول مصـدر فـي البلديَّـة، متوقّعًـا أن يكـون تراجـع تلـك «الفانـات» مؤقّتًـا إذ قـد يبـدأون مسـتقبلًا بالعـودة إلـى مواقعهـم كمـا درجـت عادتهـم عنـد كل حملـة، إذ يغيبـون لأيّـام ثـمَّ يعـودون إلـى مزاولـة أنشـطتهم وكأنّ شـيئًا لـم يكـن. لكـن علـى الرغـم مـن ذلـك فإنَّـه لا يـزال هنـاك «مقـاه» مخالفـة فـي المنطقـة يعلّـق علـى وجودهـا نائـب رئيـس بلديَّـة بـرج البراجنـة زهيـر جلـول قائـلًا: «إذا أرَدْنـا تطبيـق القانـون وإزالـة فانـات "الإكسـبرس" فعلـى الدولـة التـي وضعـت القانـون أن تؤمِّـن البديـل، كفـرص العمـل وضمـان الشـيخوخة، وهـذا سيسـهِّل علـى البلديّـات عمومًـا تطبيـق القانـون، إذ لا حجّـة قويَّـة سـاعتئذ بالوضـع المالـي والاجتماعـي الضاغـط علـى المخالفيـن». وإذ يشـدّد جلّـول علـى «أنَّ الأصـل هـو الإزالـة، وهـذا حصـل وأزالـت البلديَّـة بعـض المخالفـات»، مشـيرًا إلـى أنَّ هـذه العمليَّـة «أدّت إلـى أن قـام بعـض أصحـاب الأكـواخ بإطـلاق النـار علـى الشـرطة البلديَّـة خـلال إزالـة التعديـات علـى الأمـلاك العامّـة».

> جلول: بعض المخالفات تفوق قدرة البلديّات

وللدلالـة علـى صعوبـة إزالـة المخالفـات، يسـتطرد جلّـول: «إنَّ إزالـة بعـض المخالفـات تفـوق قـدرة البلديّـات عمومًـا وتلزمنـا مـؤازرة مـن القـوى الأمنيَّـة وأحيانًـا مـؤازرة مـن الجيـش»، مضيفًـا: «هـذا مـا قامـت بـه البلديَّـة فـي العديـد مـن إزالـة المخالفـات. وعنـد عـدم قـدرة البلديَّـة علـى إزالـة المخالفـة لأي سـبب فإنهـا تسـطِّر محضَـرًا وتدّعـي علـى المخالفيـن لـدى الجهـات القضائيَّـة المختصّـة». لكـن علـى الرغـم مـن حديـث جلّـول إلا أنـه لا يمكـن إغفـال السـؤال التالـي: كيـف تمكّنـت البلديَّـة إذن مـن إزالـة الفانـات المخالفـة منـذ شـهرين تقريبًـا؟!

بالنسـبة إلـى جلّـول فـإنَّ «طريـق المطـار هـو البوّابـة إلـى لبنـان، وهـذا مـا يصعّـب عمليَّـة منـح التراخيـص بهـذا العـدد خوفًـا مـن عِصيـان هـؤلاء فـي المـكان، علمًـا أنَّ الترخيـص البلـدي يُمنـح لسـنة واحـدة فقـط».

وعمـا أيّهمـا أفضـل بقـاء «فانـات الإكسـبرس» بأشـكالها الحاليَّـة أو وضـع «أكشـاك» جميلـة وموحّـدة، يـردّ جلّـول بالقـول: «هـذا موضـوع يحتـاج إلـى نقـاش علـى مسـتوى اتّحـاد بلديّـات الضاحيـة، فـلا يمكـن أنْ تعالـج كل بلديَّـة الملـف بطريقـة مختلفـة عـن زميلاتهـا».

ثالثًا- حارة حريك

في حارة حريك، لا مكان لـ«الإكسبرس» في صورته المعهودة، باستثناء اثنين هما الأبرز، الأوّل «الجزيرة» القائم على أوتوستراد هادي نصرالله، والذي امتدّ على مساحة أمتار من الرصيف، والثاني يقع تحت جسر بئر العبد مباشرة، وهو مملوكٌ لرجل ستّيني افتتحه برخصة من البلديَّة السابقة، وهذا الرجل كما يقول هو والد لـ«شهيد» من «حزب الله» وقد شمله الحزب برعايته ومنحوه الرخصة كما يقول، لكنّهم منذ أيّام قاموا بإبلاغه بضرورة إزالة الكوخ. وعمّا إذا كان سيلتزم بالقرار يقول الرجل: «الأَوْلى إزالة الجميع، إذ لا يجوز أنْ يكون القانون مطبّقًا على الضعيف فقط»، متسائلًا: «هل يجرؤون على المسّ بإبن العشيرة الفلانيَّة أو الأخرى؟». ويؤكّد الرجل أنَّه لا يريد سوى تأمين قوتِه، لكن بالنسبة إلى الطّرف الآخر فإنَّ أهالي «الشهداء» مشمولون بالرعاية الصحيَّة والاجتماعيَّة وبالتالي لا يحقّ لهم العمل، لأن استمرارَهم في العمل يعني سحب تلك الامتيازات منهم.

معظم «إكسبرسات» الرصيف في منطقة الجاموس تقع في أراضي مصلحة سكك الحديد الحاضرة الغائبة كما حالها دائمًا!

رابعًا- المريجة

في المريجة وتحويطة الغدير واللّيلكي، لا حسيب ولا رقيب ولا حتى من يتحدّث إلى الإعلام. تنتشر «الإكسبرسات» مفروضة بقوّة أصحابها. ففي نطاق هذه البلديَّة هناك أحياءٌ للعشائر قائمة بحدِّ ذاتها، وهؤلاء يؤمّنون الحماية للعشرات من مقاهي الطريق وقد حلّوا مكان الجهات الرسميَّة في منح التراخيص وحجْبِها، وفقًا لما يقول أحد أصحاب «الإكسبرس» على طريق اللّيلكي - الكفاءات. واللافت للانتباه في هذه المنطقة هو أنَّ التعدّيات لا تشمل الأملاك العامّة فقط بل تتعدّاها إلى التعدّي على أملاك الغير كالمساحات الفارغة الفاصلة بين البنايات والطريق العام والتي تُعتبر مواقفَ للبنايات السكنيَّة. ويرفض مصدر في بلديَّة المريجة وتحويطة الغدير الاعتراف بوجود «إكسبرسات» مخالفة في نطاق البلديَّة لكن ذلك يكذّبه واقع وجود أكثر من مقهى رصيف في المنطقة أبرزها «إكسبرس» الملقّب بـ«المختار» والموجود على الرصيف العام أمام مدخل الجامعة اللبنانيَّة في منطقة الحدث!

خامسًا- إكسبرس «الحدت» أو «سكك الحديد»

تأخُذُ المخالفات في منطقتَي السان تيريز وشارع الجاموس التابعَين لبلديَّة الحدت، وصولًا إلى الجامعة اللبنانيَّة، شكلًا آخرًا إذ يمكن التمييز بين نوعين من المخالفات، الأول تعديات على الأملاك العامة كالأرصفة، والثاني تعديات على أملاك «مصلحة سكك الحديد». ويلفت مصدر في بلديَّة الحدت الانتباه إلى أنَّ «سكك الحديد» هي مَن كانت تمنح التراخيص لبعض «الإكسبرسات» لمدّة ثلاثة أشهر، وعندما اتّجهت الأمور نحو الفوضى بلغ عدد «مقاهي الإكسبرس» العشرات وسيطر أصحابها على الأماكن وبقوا فيها.

لكن ماذا عن دور البلديَّة؟ يؤكّد المصدر أنَّ «البلديَّة أزالت الكثير من المخالفات، وهناك مخطّط لإزالة كلّ المخالفات المتبقّية، وشَرَعْنا في ذلك من خلال توجيه عددٍ من الإنذارات إلى الأكواخ المخالفة والمتعدّية على الرصيف العام أو أملاك الغير»، مشدِّدًا على أنَّ «بلديّته لا تمنح تراخيصَ من هذا النوع لأي كان».

لكن في مقابل ذلك، فإن «كوخًا» صغيرًا على أراضي مصلحة سكك الحديد تحوّل إلى مقهى امتدّ على كل الرصيف، طاولات وكراسي وموقف دراجات نارية وأمور أخرى، ليكون شاهدًا على «حُسْن الإزالة». فهذا الكوخ الذي يملكه شخص من آل زين الدّين، وهو من المنتمين إلى «حركة أمل» قام بتأجيره إلى شخص آخر، وهو بالتالي يحقق عائدات ماليَّة من أرضٍ هي ملك سكك الحديد وبالتالي الشعب اللبناني، والأكثر من ذلك أنَّ هذا الشخص نفسه بنى قهوة كبيرة على أرضٍ لا يملِكُها في المنطقة نفسها بالإضافة إلى كوخٍ آخر تحوّل بدوره إلى مقهى على مساحة ليست بقليلة من الرصيف وقام بتلزيمها إلى شخصٍ سوريٍّ لاستثمارها لقاء مبلغ شهري محدَّد. وعلى هذا الأساس فإن هذا «المتنفّذ» هو أحد أبرز المستثمرين لأراضي سكك الحديد من دون أن تملك الأخيرة حولًا وقوّةً في مواجهة نفوذه، ولا أنْ تعلّق على هذه التعدّيات أو تحاول اتخاذ إجراءات قانونيَّة لإزالتها!

حال زين الدّين كحال عدد من الذين وجدوا في أراضي سكة الحديد فرصة استثماريَّة بعائدات كبيرة من دون أن يتكبّدوا خسارة ليرة واحدة، ذلك أن معظم «إكسبرسات» الرصيف في منطقة الجاموس تقع في أراضٍ هي ملك مصلحة سكك الحديد الحاضرة الغائبة كما حالها دائمًا!

سادسًا- حيّ السُّلّم

لا تختلف حال المخالفات في حيّ السُّلّم عما هي عليه في بقيَّة المناطق، ولا بدّ من التمييز هنا بين مناطق في حيّ السُّلّم تقع ضمن نطاق بلديَّة المريجة وتحويطة الغدير التابعة لاتّحاد بلديّات الضاحية، وبين مناطق أخرى تابعة لبلديَّة الشويفات.

وكانت بلديَّة الشويفات تعهّدت أكثر من مرة بإزالة مخالفات «الإكسبرس» في المناطق التابعة لها إداريًّا، لكن سرعان ما كان يخفُت وَهْجُ حَمَلاتها وتعود الأمور إلى ما كانت عليه في السابق. ولعلّ آخر حملة نُفذت في المنطقة كانت حملة اتّحاد بلديّات ضاحية بيروت الجنوبيَّة في العام ٢٠١٧، عندما قامت شرطته بمؤازرة من قوات الأمن الداخلي والجيش بإزالة التعدّيات من منطقة الموقف الجديد في الحيّ، وحصل في حينها اشتباكات مع أصحاب «الإكسبرسات» و«البَسْطات» المخالِفة ووصَل إلى بعض المحال التي تمَّ تشييدُها على الأملاك العامّة من دون رُخَص، غير أنَّ الأمور تبدّلت لاحقًا وحافظ الأقوياء على نفوذهم في المنطقة وعادوا لمزاولة أعمالهم.

حاجة أمنيَّة حزبيَّة؟

إنَّ متابعة انتشار «الإكسبرس» في ضاحية بيروت الجنوبيَّة يؤكّد بما لا يقبل الشك مجموعةً من المعطيات التي يمكن الإشارة إلى أبرزها، وتتمثّل في القوة التي يتمتّع بها أصحاب هذا النوع من المقاهي لجهة انتمائهم الحزبي أو العشائري أو الاثنين معًا، كما هي حال «المختار» زعيتر، فالرجل ابن عشيرة بالإضافة إلى كونِه من الذين يعملون تحت لواء «حركة أمل» وذلك بدليل اعترافاته وأدائه بالإضافة إلى رفعه صورة لرئيس مجلس النوّاب نبيه برّي، في أرض سكك الحديد التي يُسيطر عليها على باب الجامعة اللبنانيَّة.

لأصحاب «الإكسبرسات» انتماؤهم الحزبي أو العشائري أو الإثنين معًا

ويُضاف إلى ما سَبَق الحاجة الأمنيَّة لهؤلاء، فعلى الرغم من عدم اعترافهم بالعمل لمصلحة أيٍّ من الأجهزة الأمنيَّة الرسميَّة إلّا أنَّ بعضهم يُعلن الانتماء الواضح لأحد قطبي «الثنائي الشيعي»، فإنْ لم يكن تصريحًا بل تلميحًا من خلال الرايات التي يرفعونها فوق أكواخهم أو الصور المعلّقة في داخلها كصُوَر الأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصرالله، وصُوَر الرئيس نبيه برّي، وهم بذلك إنما يؤكّدون بأنَّ أدوارهم تتعدّى بيع القهوة والشاي على قارعة الرصيف، إلى أبعد من ذلك خصوصًا أن أكواخهم مجهّزة بكاميرات مراقبة على مختلف جوانبها وهذا ما يجعل من هؤلاء بمثابة «حرّاس الطائفة» بحسب ما يقولون، تحديدًا أولئك المنتشرين على الحدود الخارجيَّة لمناطق الضاحية كمحلّة السُّلطان إبراهيم أو طريق صيدا القديمة الفاصلة بين الحدت ومناطق الضاحية الأخرى بمفهومها «السكني» وليس الإداري، فهؤلاء من خلال كاميراتهم وتواجُدِهم في المنطقة يقومون برصد أي تحرّك «مشبوه»، وقد حدث أن التقط هؤلاء صُوَرًا كما قاموا بتصوير كل سيارة يكون في داخلها صحافيّون أو مَن يقومون بممارسة عملهم والذي من ضمنه التصوير الفوتوغرافي أو «الفيديو». وبالتالي يمكن القول هنا إنَّ «الإكسبرس» هو حاجة أمنيَّة لـ«حزب الله» الذي يُسيطر على اتّحاد بلديّات الضاحية الجنوبيَّة، ليس عبر أصحاب الأكواخ وحدهم، وإنّما من خلال التجمّعات الشبابيَّة في هذه المقاهي والتي يمكن ملاحظتها بسهولة في كل «الإكسبرسات» العاملة في المنطقة. وربما هذا ما يُفسّر عدم قدرة أو عدم رغبة البلديّات ومؤسّسات الدولة الأخرى بإزالة تلك المخالفات وتَرْك حرّيَّة العمل لأصحابها باعتبارهم من «المدعومين» حزبيًّا والّذين لا يمكن الاستغناء عنهم تحت أي ظرف من الظروف.

منشورات «أمم» للتوثيق والأبحاث

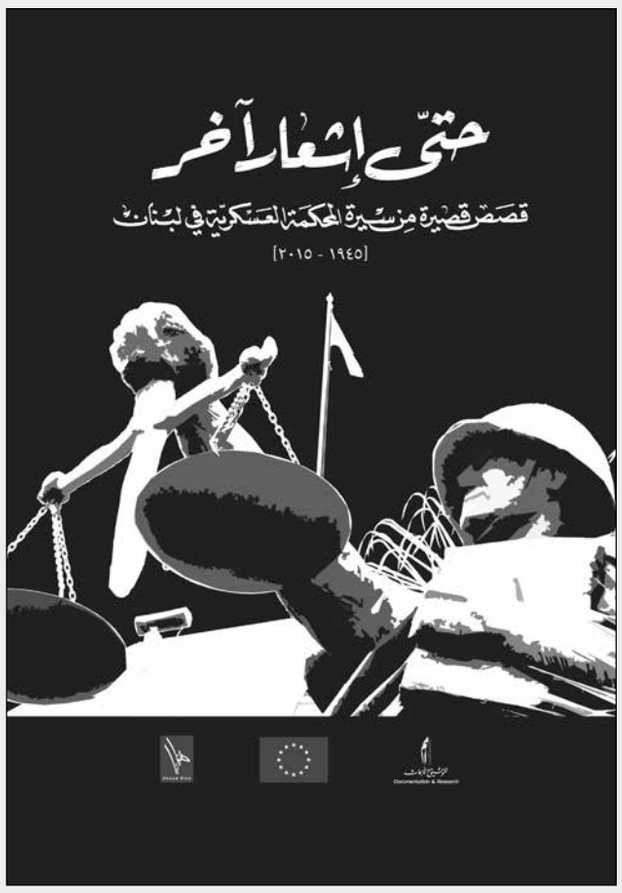

صدر هذا الكتاب في عام ٢٠١٦ عن «أمم للتوثيق والأبحاث» وعن «هيا بنا» في إطار مشروع تحت عنوان «كلّنا برسم القضاء العسكري؟ القضاء العسكري بين "هَيْبَة الدولة" و"دولة القانون"». لم يكن القصد من هذا المشروع التصدّي لموضوع القضاء العسكري من وجهة تُقدم المقاربة القانونيَّة الحقوقيَّة إنّما التصدّي له من وجْهة نظر مواطنيَّة تحمل على محمل الجدّ السؤال الساذج المركّب معًا: لماذا يستعلي «الاستثناء» في لبنان على الكثير من مرافق الحياة ـ بما فيها «القضاء»؛ واستطرادًا: هل إنَّ استعلاء الاستثناء هو حقًّا نتيجة «الظروف» القصوى أحيانًا، التي مرَّ بها لبنان، ويمرّ، أم أنَّ هذا الاستعلاء، والتصالح مع دوامه واستمراره، هو من العوامل التي تساهم في إنتاج تلك الظروف ـ بما فيها القصوى منها (الحرب الأهليَّة مثلًا)؟ واستطرادًا على الاستطراد: هل من سبيل إلى الخروج من الحرب ـ الحرب بوصفها عنوان الاستثناء بامتياز ومُرضِعَته ـ بمزيد من الاستثناء وبمزيد من التصالح على دوامه؟

بشهادة التجربة اللبنانيَّة، وهي بحدّ ذاتها تجربة قصوى في تسيُّد «الاستثناء» على العديد من مرافق الحياة، بما فيها القضاء وتجربة قصوى من التوسّل بالاستثناء كطبٍّ سحريّ لكل العلل والأدواء، فإن مؤدّى هذا التسيّد تأبيد تجربة الفشل في الخروج من حالة الحرب، باردة أو حامية، والحكم على لبنان واللبنانيّين حُكمًا مُبرمًا بتكبّد المزيد من الأمر نفسه.

والمشروع بذاته يحيط بجوانب ثلاثة: التوثيق والبحث والتنوير؛ أمّا الجانب التوثيقي فقضى بأن ينشأ قاعدة البيانات الإلكترونيَّة المفتوحة «عدالة الميدان ـ القضاء العسكري في لبنان»؛ أمّا الجانب البحثي والتنويري فلقد تابعه مسارَين اثنين لم يخلُوَا من التقاطع والترادف. أمّا الأول فكان قوامه عدد واسع من اللقاءات والمقابلات مع ناشطين وحقوقيّين معنيّين بالقضاء العسكري ومواطنين مَثَلوا أمام هذا القضاء. أمّا الثاني فيترجم نفسه من خلال منتَجَيْن اثنين أحدهما كتاب «حتى إشعار آخر، قصص قصيرة من المحكمة العسكريَّة في لبنان»؛ والآخر شريط وثائقي، مُعَنْون أيضًا «حتى إشعار آخر».

بالنسبة إلى الكتيّب فإنه يتوقّف عند محطاتٍ ومراحل من سيرة المحكمة العسكريَّة ويطرح من خلالها أمثلة هي عبارة عن قصص قصيرة من تاريخ هذا البلد حيث تألّق فيها نجم القضاء العسكري وتبوّأ منها محل البطولة، قُصص ليست بالضرورة «أحسَنَ القَصَص»...

الواقـع الصحي جنوبًا: الطبابة لأزلام الثنائي، والجنوبيّون عُرْضةً للابتزاز

كريم حمادة

بعد تسارُع الانهيار المالي والاقتصادي الذي يشهده لبنان، باتَ الوضع الصحي والاستشفائي يشكّل أهمّ المشكلات التي تواجه المواطنين والمقيمين على الأراضي اللبنانيَّة الذين يُعانون للحصول على سرير في مستشفى ما وعلى خدمة صحّيَّة ذات مستوى مقبول، خصوصًا بعد عجز السُّلطات المعنيَّة عن رسم رؤية وخِطط استراتيجيَّة للقطاع الصحّي وخصوصًا في هذا الظرف الذي نمرّ به، بعيدًا من الزبائنيَّة السياسيَّة والوساطات الطوائفيَّة، وتعيين إدارات للمستشفيات العامّة بعيدًا من المحاصصة السياسيَّة.

في الجنوب، كان هناك تسعة مستشفيات حكوميَّة عاملة، قبل الانهيار الحاصل، وهي: صيدا، جزّين، صُور، النبطيَّة، تبنين، بنت جبيل، مَيْس الجبل، حاصبيّا ومرجعيون؛ ومستشفيان لا يعملان هما: مستشفى شبعا، والمستشفى التركي في صيدا.

مجالس إدارات مستشفيات الجنوب يتقاسمها الثنائي

تشكّلت مجالس إدارة هذه المستشفيات وفق التوافق السياسي وموازين القوى الموجودة في النطاق الجغرافي لكل مستشفى، فتقاسمها الثنائي المسلّح. هذه المستشفيات تحولت إلى مؤسّسات عامة تتعاقد مع وزارة الصحة، وتحصل على كوتا ماليَّة منها، إلى جانب إسهامات المؤسّسات الدوليَّة والصناديق الضامنة.

استغلّ الثنائي المسلّح هذه المستشفيات لتوظيف أزلامه فأضْحَت مرتعًا للتوظيف السياسي، لا يدخلها إلّا مَن كان مُواليًا لهما، بعيدًا من أي معيار للكفاءة. وتحديد سقوفها الماليَّة كان يخضع لعمليَّة الهَدْر والفساد وكميَّة الفواتير المضخّمة أو المُفبركة في كل مستشفى، والمعيار الأساسي في هذه المعادلة يكون بمدى علاقة إدارة المستشفى بطرَفَي الثنائي المسلّح.

وإلى جانب التوظيف تُتَّبع سياسة «الوساطات في الدفع» حيث تخفَّض الكلفة الماليَّة التي يدفعها المريض بعد حصول اتصال بإدارة المستشفى من مكتب الحاج فُلان أو مكتب عِلّان، فتأخذ إدارة المستشفى حصّتها بحصولها على ما تريد، وتكسب الجهات السياسيَّة بتربيح المريض «جميلة» من جَيبه.

يملك القطاع الخاص ١٥ مستشفى موزّعة على معظم الأقضية الجنوبيَّة، وتتعاقد مع وزارة الصحّة والصناديق الضامنة الأخرى والمؤسّسات الدوليَّة. وقد أُقفل منها أربعة مستشفيات بعد الأزمة الراهنة.

وبحسب أحد المدراء السابقين في إحدى مؤسّسات الدولة الضامنة، كانت المستشفيات الخاصّة قبل الأزمة الماليَّة والاقتصاديَّة، تستقبل نحو ٧٠ بالمائة من مرضى الضمان الاجتماعي ووزارة الصحّة والصناديق الضامنة والمؤسّسات الدوليَّة. وكانت تتمّ عمليَّة تضخيم ملفات المرضى المضمونين بإدراج أعمال صحّيَّة وأشعّة ومختبريَّة غير مطلوبة فعليًّا، لتزيد فاتورة المريض الماليَّة التي تعطيها المؤسّسات الضامنة، بتواطؤ مع المراقبين الصحّيّين الذين يتلقّون نسبتَهم من إدارات المستشفيات لتمرير الملفات. عندما كان القطاع الصحّي في أحسن أحواله، كان تحقيق الأرباح بصورة غير قانونيَّة يسير على قَدَمٍ وساق، وكذلك كان وضع الأطباء بأفضل حال.

بعد دخول لبنان في أزمته السياسيَّة والاقتصاديَّة والماليَّة، شَهِد القطاع الصحّي بشكل عام أزمة هجرة واسعة إلى خارج لبنان من أطبّاء من كلّ الاختصاصات ومن مختلف أقسام التمريض. وجنوبًا، سُحِبت كادرات تمريضيَّة من مستشفيات مناطق الجنوب إلى العاصمة، بحسب مصادر وزارة الصحّة، كما ترك عدد من الممرّضين والممرّضات عملهم في المستشفيات الحكوميَّة والخاصّة للالتحاق بالمستشفيات التابعة لحزب الله الذي يتلقّى مساعدات إيرانيَّة وتبرّعات داخليَّة كبيرة، ومنها مستشفى راغب حرب. كل ذلك أدّى الى تدنٍّ بالمستوى المهني. كما أنَّ ٩٠ بالمائة من المستشفيات العامّة لم يعد لديها السيولة الكافية للاستمرار في خدماتها.

تحوّلت المستشفيات الحكوميَّة الى مؤسّسات ذات إدارات حرّة، لا تختلف كثيرًا عن المستشفيات الخاصّة.

حاليًّا، لا يجد المريض سريرًا على حساب وزارة الصحّة، وعليه دفع كل المتوجَّب عليه بالدولار الأميركي، نقدًا. ومساهمة الضمان الاجتماعي لا تتجاوز ١٠ بالمائة من قيمة فاتورة المستشفى نتيجة فروقات سعر الصرف الذي لا زال على سعر الألف وخمسماية ليرة للدولار الواحد، حسب تسعيرة الضمان! أمّا تعاونيَّة الموظّفين وعلى الرغم من مضاعفة التسعيرة عشرات المرات فلم تتجاوز مساهمتها ١٠ بالمائة أيضًا.

قبل الأزمة الحاليَّة كانت قيمة وحدة العمل الجراحي في المؤسّسات العامّة الضامنة تتراوح ما بين خمسة وعشرة دولارات، اليوم باتت لا تساوي أكثر من ١٥ سنتًا أميركيًا، وهذا ما دفع الطبابة العسكريَّة في الجيش اللبناني إلى رفع قيمة وحدة العمل الجراحي إلى دولار واحد، في حين حددت الهيئة الصحّيَّة الإسلاميَّة التابعة لحزب الله قيمة وحدة العمل الجراحي إلى الدولار ونصف، وأجرَت عقودًا بالدولار الأميركي مع جميع المستشفيات ابتداء من مطلع العام الجاري، ورغم أن الهيئة لم تدفع الفواتير المتوجّبة عليها لهذه المستشفيات حتى الآن، لكن إدارات هذه المستشفيات لم تطالب، إمّا خوفًا من نفوذ «حزب الله» أو ثقةً بوجود الأموال لدى الحزب.

المستوصفات ومراكز الصحّة الأوليَّة العامّة في الجنوب تمويلها دولي والإدارة تحت سيطرة الثنائي

يوجد في قضاء صور ٣ مستشفيات خاصّة هي: حيرام، جبل عامل واللبناني ـ الإيطالي، تستقبل جميع المرضى كمريض خاص، في حين تبلغ نسبة الذين يدخلون إلى المستشفى على حساب «الهيئة الصحّيَّة الإسلاميَّة» و«حزب الله» أو بمساهمة ماليَّة منهما ما بين ٩ إلى ١٢ بالمائة من أعداد المرضى، كما تقدّم مستوصفات الهيئة الصحّيَّة والمدعومة من وزارة الصحّة أو المسجّلة كمراكز صحّيَّة أوّليَّة تحظى بدعم مؤسّسات الأمم المتحدة والهيئات الدوليَّة، تحت ما يُسمّى مشروع خطّة الاستجابة للأزمة السوريَّة في دعم المجتمع المضيف للاجئين السوريّين، والمنتشرة في معظم بلدات القضاء، خدماتها بأسعار رمزيَّة، في حين يستفيد منتسبو «حزب الله» وأهاليهم وعائلات شهدائهم من مجّانيَّة الخدمات بالكامل. وهو يعتبر امتيازًا لعناصر الحزب وأهلهم الذين يحظون بالأمان الصحّي خلافًا لغيرهم من الجنوبيّين الذين يعيشون هاجس الصحّة والخوف من الموت.

يستفيد أعضاء «حزب الله» وأهاليهم وعائلات شهدائهم من مجانيَّة الخدمات الصحّيَّة بالكامل

في قضاء الزهراني، فإنَّ عدد المستفيدين من خدمات «حزب الله» في مستشفيات علاء الدين وفقيه وخرّوبي قليل جدًّا، إذ يجري تحويل مرضى هذا القضاء إلى مستشفى راغب حرب الكائن في النبطيَّة.

في قضاء النبطيَّة، ثلاثة مستشفيات عاملة حاليًّا وهي: النجدة الشعبيَّة، المستشفى الحكومي ومستشفى راغب حرب، وقد أُقفل مستشفى الحكمة ومستشفى غندور، فيما مستشفى النجدة الشعبيَّة، بحسب أحد المسؤولين فيها، تتلقّى دعمًا صغيرًا من مقاطعة كاتالونيا الإسبانيَّة ومن بعض المغتربين واضطُرت إلى اقفال بعض الأقسام كي تؤمّن ديمومة العمل، أمّا المستشفى الحكومي المحسوب على «حركة أمل»، فوضعه يسير من سيّئ إلى أسوأ، وقد تراجع دوره بسبب ارتفاع فروقات الفواتير التي

المصدر: موقع الخيام

يطلبها من المرضى، وإذا كانت «حركة أمل»، قبلًا، تطلب من إدارة المستشفى خفض تلك التكلفة، فهي الآن لم يعد في مقدورها القيام بذلك.

وما يسري على المستشفى الحكومي في النبطيَّة يسري أيضًا على باقي المستشفيات العامّة في مختلف الأقضية والتي باتت فارغة من المرضى إلّا من القادرين على دفع التكلفة التي تقترب من فواتير المستشفيات الخاصّة.

في قضاء بنت جبيل يوجد مستشفى صلاح غندور وهو يتبع للهيئة الصحّيَّة الإسلاميَّة، وتُقدَّم فيه خدمات صحّيَّة واستشفائيَّة يستفيد منها أعضاء «حزب الله» وعائلاتهم بالإضافة إلى أبناء البيئة الحاضنة.

وفي تبنين مستشفى عام يبدو أنّه تحوّل إلى إدارة خاصّة يقدّم خدمات وعلاجات متنوّعة في قضاء بنت جبيل ويتقاضى فروقات غير قانونيَّة، ويهمِس بعض المتابعين للشأن الصحّي في المنطقة، عن علاقة إدارة المستشفى بابن رئيس مجلس النوّاب وحركة أمل نبيه برّي، عبدالله، الذي يستفيد من خدمات وأرباح المستشفى المذكور، ويتكلمون عن مبالغ مفقودة من صندوق المستشفى.

يبقى في النبطيَّة مركز استشفاءٍ جامعي تابع لـ«حزب الله» هو مستشفى راغب حرب الذي يقدِّم خدمات طبيَّة متنوّعة ويتلقّى دعمًا مباشرًا مزوّدًا بمعدّات إيرانيَّة، إلى جانب أقسام طبيَّة مختلفة وأدوية متنوّعة، ويعتبر المركز الاستشفائي الأكبر لـ «حزب الله» جنوبًا، ويقدّم الخدمات الصحّيَّة المجانيَّة لأعضاء وعائلات «حزب الله»، وخدمات بأسعار رمزيَّة، لأبناء بيئته الحاضنة. وتقدَّر المساعدات الشهريَّة التي تصل إلى المستشفى بنحو ٤٠٠ ألف دولار أميركي.

المستشفيات أضحت جنّةً لا يدخلها كل الجنوبيّين

يخضع الواقع الصحّي في الجنوب لسيطرة الثنائي المسلّح، أي «حركة أمل» و«حزب الله»، والدخول إلى المستشفيات أضحى جنّة لا يلتحق بنعيمها كل الجنوبيّين، إلّا مَن كان من عناصر «الحزب الإلهي» أو من خاصّيتهم، أو مَن كان من أزلام «حركة المحرومين» بدرجة ثانية، أو مَن كان يملك المال من الميسورين، أو مَن له أقارب في الاغتراب، أمّا الآخرين الذين ليسوا من هذه الفئات، فيكون نصيبهم إمّا رحمة إلهيَّة، أو استجداء واستعطاف يتمّ من خلالهما الدخول إلى المستشفى، أو «لمّية من المُحسنين» تسمح له بدفع المطلوب، أو انتظار أمام باب المستشفيات ينتهي بوفاة المريض. أمّا الدواء فيتبع لنفس المنهجيَّة، رغم أنَّ الأمم المتحدة والهيئات الدوليَّة تدعم المستوصفات ومراكز الصحّة الأوليَّة عبر وزارة الصحّة، والأخيرة تحت السيطرة الكاملة للمؤسّسات الصحّيَّة لـ «حزب الله» و«حركة أمل»، «الهيئة الصحّيَّة الإسلاميَّة» و«الإسعاف الرسالي»، اللذين يديران كل تلك المراكز والمستوصفات، وبالتالي يَضحى الجنوبي عُرْضة للتمييز والمفاضلة، فيكون الدواء والاهتمام من نصيب المحظيّين والمقرّبين، وباقي الجنوبيّين لهم رحمة الله والمبادرات الفرديَّة. وبالتالي يعكس العنوان التالي، الواقع الصحّي الجنوبي: مَن يريد خدمات طبيَّة مختلفة، ومَن يحتاج استشفاء عليه اللجوء إلى الجهة الحزبيَّة المهيمنة، ليكون في عِدادها أو على ضفافها.

قضايا وآراء

لبنان في شهر آب: حرائق متنقّلة و«حزب الله» في مواجهة المكوّنات اللبنانيَّة...

حسين سليمان

برز خلال شهر آب العديد من الأحداث، بدءًا من كمين عين الحلوة إلى شاحنة الكحّالة، مرورًا باغتيال مسؤول «القوّات اللبنانيَّة» في عين إبل الجنوبيَّة وصولًا إلى الاشتباكات الداخليَّة بين «سرايا المقاومة» و«حزب الله». كتلة ناريَّة متحرّكة. يحاول حزب الله من خلالها إرسال رسائل للداخل والخارج بأنَّ مشروعه الذي يحمله هو الضمان للاستقرار والأمان في لبنان.

الشهر الثامن الذي حمل في طيّاته موجة لهيب طبيعيَّة، حمل في طيّاته أيضًا موجة لهيب تفجيريَّة، ابتدأت في مخيّم عين الحلوة حيث نصبت ما يُعرف بـ«القوى الإسلاميَّة» كمينًا لحركة فتح يهدف إلى السيطرة على المخيّم بواسطة العصابات المتطرّفة التي تخدم مشروعها، لكنها فشلت بسبب صمود «فتح» والرد السريع على هذه الأحزاب وحشر حزب الله الراعي لهذه القوى في زاوية الحرص على أمن المخيّم و«المَوْنة».

> عملية اغتيال الحصروني نُفذت بطريقة احترافيَّة في ظلّ تواطؤ واضح في منطقة القرار الأممي ١٧٠١، والمتهم حزب الله

في السابع من هذا الشهر ظهرت واقعة خطيرة في قرية عين إبل الحدوديَّة المتاخمة للحدود اللبنانيَّة الجنوبيَّة، هي عمليَّة اغتيال المسؤول في «القوّات اللبنانيَّة» إلياس الحصروني التي نُفذت بطريقة احترافيَّة من خلال قطع الطريق عليه واختطافه وتصفيته، وظهر تواطؤ واضح بعدم تحديد طريقة الموت من القوى الأمنيَّة والطبيب الشرعي، وتمَّ الدفن على أساس حادث طبيعي، إنما تبيّن لاحقًا بأنّها عمليَّة اغتيال، بعد ظهور الفيديوهات التي ظهّرت العمليَّة من الكاميرات الخاصّة والعامّة وكاميرات اليونيفيل في المنطقة وبالتالي تمَّ فضح العمليَّة التي تهرّب منها الجميع، واضطُرت القوى الأمنيَّة لإعادة فتح الملف وتشريح الجثّة من جديد حيث ظهر أنَّ طريقة القتل تُوضح بأنَّ ما حصل عمليَّة اغتيال في منطقة القرار الأممي ١٧٠١. في انتظار التحقيق بدأت تتظهّر الاتهامات التي أشارت بالبنان إلى القوى المسيطرة في تلك المنطقة وهي فوق كل شرعيَّة محلّيَّة أو أمميَّة، وهي «حزب الله».

الكحّالة والعداء اللبناني لمشروع الحزب

وليُكمل هذا الشهر أحداثه، حصلت بعدها بيومين حادثة الكحّالة نتيجة انقلاب شاحنة نقل بتاريخ ١٠ آب ٢٠٢٣، هي حادث عادي، لكن العقل الأمني الذي ساد تصرّف الفريق المرافق لهذه الشاحنة، وطريقة الترهيب والتخويف بالسلاح أشعل فتيل الأزمة، ودفَع بالناس للاحتجاج وقطع الطريق، وكَشْف المستور، ليتّضح أنَّ هذه الشاحنة تنقل ذخائر «بي - كا سي» على حدِّ تصريح ومعلومات الأجهزة الأمنيَّة.

بعد اكتشاف أمرها بين الناس وظهور وضع الشحنة وبالرغم من منع التصوير، هاجم عناصر المواكبة الناس، الذين تجمّعوا حول الشاحنة في عمليَّة اعتراضيَّة شعبيَّة تشير إلى رفض هذه البيئة تمرير هذه الشاحنة دون معرفة ما تحويه الصناديق التي تحملها، وهي التي تسلك طريق البلدة على الطريق الدوليَّة التي تربط البقاع بالجبل وبيروت، فأطلقوا النار على الأهالي، ليسقط فادي بجّاني ابن الكحّالة ويسقط في المقابل أحمد القصاص من فريق المرافقة، وعندها اضطُر الجيش للتدخّل بقوة لسحب السيارة وفكّ الاشتباك. هذا التدخل الخجول أظهره بمظهر «أبو ملحم» وهو الوصف الذي يتعارض مع جيش يمارس دوره الشرعي على أراضي دولته.

السؤال، لماذا هذا الهَلَع الذي ساد الفريق المرافق للشاحنة، في الوقت الذي كان يمكن تلافي هذه الحادثة وعدم إثارة شكوك الناس بأنّها تحمل شيئًا ممنوعًا، وهي لم تكن الشاحنة الوحيدة التي مرّت وتمرّ على طريق الكحّالة بيروت.

> الفريق المرافق لشاحنة الكحّالة أخذ مواقعَ ومواضعَ قتاليَّة بمواجهة المواطنين

يمكن الاستنتاج أن هذا التصرف ينمّ عن غطرسة وفوقيَّة يتعامل فيها هذا الفريق مع مختلف أطياف الشعب اللبناني، وسمح لنفسه ولمن يمثلونه بأن يضعوا أنفسهم بمواجهة المدنيّين وتخويفهم، وأخذ مواقع ومواضع قتاليَّة بمواجهة المواطنين. هذا التوجه أمدّه الحزب وإعلامه بحملة وشعارات بحفظ طريق إمداد ما يزعمه من «مقاومة» ورفضه قطع طريقها التي تربط دير الزور والبقاع وبيروت مرورًا بالكحّالة. فالحزب أضحى لا يهتمّ في مواجهة كلّ المكوّنات اللبنانيَّة وحتى بيئة مَن هو قريب منه، وهذا ما ظهر من طبيعة الضحيَّة البجاني مرافق حليف الحزب «جو حبيقة»، ووالد مديرة الأرشيف في محطة حليفه التيار الوطني الحر تلفزيون «OTV».

> همسات وإشارات فلسطينيّة تفيد أنَّ شاحنة الكحّالة كانت مرسلة إلى مخيّم عين الحلوة كسلاح للمقاتلين

السلاح مرتبط بالمخيّمات:

بعض الهمسات والإشارات الفلسطينيَّة أكّدت مخاوف أهالي الكحّالة بأنَّ هذه الشحنات تُرسل إلى مخيّم عين الحلوة، كسلاح للمقاتلين في المخيّمات بعد أن أفرغوا كل ما يملكون في الحرب التي دارت في المخيّم، وهذا يمكن أن يكون سبب آخر يضاف إلى خوف الحزب لجهة عمله على عدم كشف نوعيَّة الشحنة التي لا تحمل الممنوعات من الأموال والمخدّرات، والهمْس الفلسطيني أثبت بأنّها سلاح إلى المخيّمات، ولكنّها لم تكن الدفعة الوحيدة التي سلَكَت الطريق الدوليَّة وهذه مخالَفة واضحة القرار ١٧٠١. يضاف إلى الهمْس الفلسطيني ونشر هذه المعلومات البيان الأميركي الذي حمل موقفًا شديد اللهجة لجهة تسليم الجيش اللبناني للشحنة، مما يؤكّد توجّهها الفعلي إلى المخيّمات.

إذن هذه المواقف المتكررة تؤكّد على موقف الحزب الثابت بالسيطرة على الدولة وربطها بالمحور الإيراني، حيث بات المشروع الذي يحمله «حزب الله» أكبر من تحمُّل الشعب اللبناني الذي لم يعد هناك أي تجانس في الكيمياء بينه وبين الحزب، ربطًا بالحديث عن «وحدة الساحات» في مواجهة إسرائيل. فهذا الضغط الذي يمارسه الحزب خلال هذه الفترة، ليوجّه رسالة للدبلوماسيّين الغربيّين واللجنة الخماسيَّة مفادها بأنَّ الحزب مصرٌّ على الإمساك بلبنان عن طريق رئيس يتمّ الحوار على أساسه و يحمي مشروع ما يُعرف بـ«المقاومة» ولا بديل عن سليمان فرنجيَّة للرئاسة، وهذا ما تضمّنته مقابلة الشيخ صادق النابلسي، حيث قال في حديثه على تلفزيون الجديد ضمن برنامج الحدث مع الإعلاميَّة سمر أبو خليل بتاريخ ٧ تموز، بالفم الملآن أمام الرأي العام اللبناني، إنَّه إذا لم توافق المعارضة على انتخاب سليمان فرنجيَّة وإيصاله لسدّة الرئاسة، فإنَّ «حزب الله» سيُشعل حربًا مع إسرائيل لتغيير المعادلة الداخليَّة، وكأنَّ إسرائيل باتت حسب قوله طَوْق النجاة للسيطرة على القصر، فمنذ انتهاء عهد الرئيس السابق ميشال عون بات الفراغ الرئاسي كحصان طروادة الحياة السياسيَّة اللبنانيَّة. وبالرغم من أنَّ الحزب قد تبرّأ من الحديث الذي أدلى به الشيخ النابلسي وبأنه يعبّر عن وجهة نظره شخصيًّا وليس عن الحزب، ولكن يمكن القول بأنَّ هذا الطرح يترجم حاليًّا من خلال إرسال رسائل متعدّدة.

المصدر: موقع الخيام

المصدر: موقع المؤسسة اللبنانية للإرسال

المصدر: موقع جنوبيّة

> حسن نصرالله وحزبه لم يعودا يريان أحدًا

الرسائل على الصعيد الداخلي:

لابد من الوقوف أمام الرسائل الداخليَّة التي يحاول الحزب إرسالها إلى المكوّنات الأخرى من مسيحيَّة وسُنِّيَّة ودرزيَّة، بأنَّ حسن نصرالله وحزبه لم يعودا يريان أحدًا، ومشروعهم فوق كل الاعتبارات، وبالتالي هذه رسائل للضغط على سائر المكوّنات من أجل الرضوخ لمطلب الحزب، فرنجية أو تدمير البلد.

هنا نرى بأنَّ الحزب يحاول إرسال رسائل أمنيَّة بواسطة الموت للأحزاب المسيحيَّة المعارضة لسياسته ودفعها لتبنّي المشروع العنفي الذي ينتهجه، وبالتالي جرّها إلى المواجهة في الشارع بواسطة السلاح، وثانيًا دفعها لانتهاج صيغة عُنفية من خلال خطاب مقارِب لخطابه الذي يحمل في طيّاته نفحة من المذهبيَّة والكراهيَّة للآخر.

> بحال تمَّ اتخاذ قرار دولي بخصوص تعديل مهمة قوّات اليونيفل سيكون صُوَريًّا أو لا يُنفّذ، الكلمة الفصل في تلك المنطقة لـ «حزب الله»

إنَّ الاشتباكات والاغتيالات والاستعراض الميليشياوي وإطلاق تهمة الميليشياويَّة على الأطراف المسيحيَّة يدفع الشارع والرأي العام المسيحي لرفع «الخطأ الفادح» عن تحالفهم معه، من خلال غطاء مسيحي أمّنه له تيار «ميشال عون» طوال الفترة السابقة، وأضحى الشارع المسيحي يتحسَّس بأنَّ الحزب بات يُشكّل خطرًا فعليًّا على الساحة المسيحيَّة، وبالتالي هذا التصرف يُضعف التيّار العوني ورئيسه أكثر فأكثر.

الرسائل على الصعيد الخارجي:

يحاول الحزب كذلك توجيه رسالة إلى الخارج مفادها أنَّ الوضع الأمني مرتبط بإيجاد تسوية سريعة تُخرج البلد من أزمته الحاليَّة، وهذه التسوية تتمّ من خلال انتخابات سريعة بالتوافق على مرشح الحزب سليمان فرنجيَّة تحديدًا.

مشروع «حزب الله» مرتبط بالمشروع الإيراني، ويسعى لشراء الوقت في انتظار المفاوضات الأميركيَّة ـ الإيرانيَّة

التفجيرات المتنقّلة مرتبطة بعودة المبعوث الرئاسي الفرنسي جان إيف لودريان في خلال هذا الشهر، وبخاصّة أنَّ الأخير يأمل بإدارة طاولة حوار يديرها في السفارة الفرنسيَّة، بما يشير إلى أنَّ الحزب حدّد عنوانها: التوافق والحوار على مرشّح الحزب قبل فوات الأوان.

التفجيرات والاغتيالات في الجنوب وبخاصّة في مناطق ١٧٠١ حيث تواجُد قوّات الأمم المتّحدة والمخيّمات الفلسطينيَّة، ووجود خِيَم الحزب المنصوبة على الشريط الحدودي، هي رسائل واضحة لمجلس الأمن بأنّه في حال تمَّ اتخاذ قرار دولي بخصوص تعديل مهمة قوّات الطوارئ العاملة في الجنوب في ٣١ آب الماضي سيكون صُوَريًّا أو لا يُنفّذ، وأنَّ للحزب الكلمة الفصل في تلك المنطقة.

لكن لا بدَّ من القول بأنَّ الحزب في هذه الإشكالات بات يطرح مشروعًا لم يعُد يُقاس على المستوى اللبناني بل بات أكبر من ذلك، وهو مرتبط بالمشروع الخارجي الإيراني، وربما كان على يقين بأنَّ صفقة تبادل الرهائن بين طهران وواشنطن تعطي جرعة أمل بأنَّ الحزب الديمقراطي قد يفتح باب التفاوض مع إيران، فعليه فقط شراء الوقت.

لكن في المقابل فإنَّ قياس هذه الحوادث والاشتباكات المتنقّلة أدخلت الحزب في مواجهة مع المكوّنات اللبنانيَّة وتحديدًا المسيحيَّة والتي بات يقول لهم بأنَّ بقاءكم في لبنان هو رهنُ أمري وقيادتكم المسيحيَّة لن تستطيع فعل أي شيء، وهي تحت مرمى ناري والحصروني والكحّالة وعيون السمك هي الدليل الأبرز.

ما حصل في وادي الزينة من اشتباك بين حزب الله وسرايا المقاومة التي شكلها الحزب عام ١٩٩٧، وسقوط قتيل وعدة جرحى، في إطار الصراع والتنافس بين القيادات الميدانيَّة على الشارع وما يحمله ذلك من خوّة ودعارة وترويج مخدّرات وصالات قمار، وهذه ليس المرة الأولى التي تندلع فيها مواجهات، أدخل الحزب في دوامة الإشكالات الداخليَّة، وانفجار الوضع الداخلي في بيئته وبيئة حلفائه، ولهذه الأسباب باتت تعيش الضاحية الجنوبيَّة، المعقل الأساسي للحزب، إشكالات يوميَّة مسلّحة بين العائلات المنتمية للحزب والمحميَّة من المسؤولين الكبار بسبب هذه الأعمال التي تحصل أمام الرأي العام، ما جعل «حزب الله» في داخل بيئته مكشوفًا، ويمكن أن يكون خروجه وافتعال جبهات داخليَّة وخارجيَّة وسيلة لإبعاد الأنظار عما يحدث داخل البيئة الشِّيعيَّة ومع حلفائه.

فهل قرار التصعيد الخارجي مع إسرائيل وتحويل الخِيَم المنصوبة في كفرشوبا مخرجًا مشرّفًا لتراكم الأخطاء الداخليَّة للحزب، ما يُنذر بإشعال نار الداخل وتُضعفه وتحوّله الى «فتح» أخرى، أو إعادة التموضع في المواجهة الخارجيَّة مع إسرائيل لشدّ عصب الطائفة حوله ولفت أنظار الشعب اللبناني نحوه؟

اشتباك عناصر «حزب الله» و«سرايا المقاومة» في وادي الزينة، تنافُس على خوّة ودعارة وترويج مخدّرات وصالات قمار

يقول الحزب في تصريحاته أنّه إذا تمَّ تخييرنا بين الحفاظ على الطائفة والوقوف إلى جانب الحليف أو الاستمرار بالمقاومة سنترك الثانية من أجل الإبقاء على الطائفة موحّدة، فهل ينجح الحزب في إخفاق مهمة لودريان في أيلول المقبل وإجبار الجميع على التحلّق حول طاولة بندها الأساسي انتخاب مرشح الحزب.

النّخوة والعمالة في خطاب «حزب الله»... الكحّالة نموذجًا

رنا شمص

في سياق الأزمات المتتالية على كافة المستويات التي يشهدها البلد يومًا بعد يوم، جاء انقلاب شاحنة «حزب الله» المحمّلة بالأسلحة على منعطف الطريق في محلة الكحّالة ليستكمل مسلسل الانقضاض على هيبة الدولة وسيادتها ويُعيدنا بالذاكرة إلى الحرب الأهليَّة، وإلى ذات القعر الذي كوّم فيه اللبنانيّون على مرّ السنين الدماء والجثث والأكفان. أكثر من ثلاثين سنة مضَت على نهاية هذه الحرب وما زلنا نخاف الفتنة ونعيش الخوف من السلاح المتفلّت. وعند كل منعطف يأتي من يذكّرنا بأن الحرب أمامكم وليست وراءكم.

أكثر من ثلاثين سنة مضَت على الحرب الأهليّة اللبنانيّة، وما زلنا نخاف الفتنة ونعيش الخوف من السلاح المتفلّت

أتى بيان حزب الله في اليوم ذاته، ليصف من كان من أهالي الكحّالة في الحادثة بـ «ميليشيات» ومسلحين متّهمًا إيّاهم بالاعتداء على سائق الشاحنة ومرافقيه في محاولة للسيطرة عليها، وبأنهم هُم من بدأ برَمي الحجارة أوّلًا ثمَّ بإطلاق النار... علمًا أنَّ الضحية فادي بجّاني هو ابن بلدة الكحّالة وكان قد قُتِل على يد مسلّحي ميليشيا الحزب الذين كانوا يرافقون شاحنة الأسلحة أمام منزله.

جاء خطاب حسن نصرالله بعد ذلك ليُكمل ما قدّمه البيان من اتهامات وليوسّع مروحتها لتطال وسائل الإعلام، ويستهدف إحدى القنوات التلفزيونيَّة لأنّها قامت بتغطية الحادث ونقله، كما لو أنَّ حال الكتمان يجب أن يعيشها كلّ اللبنانيّين في طول البلاد وعرضها. وللمناسبة فإن نصر الله دعا في الخطاب ذاته إلى التهدئة وعدم التحريض الإعلامي متناسيًا أنَّ بيان حزبه هو مَن بدأ بالتجييش والغمز من القناة الطائفيَّة والأهليَّة بعد وصف أهالي المنطقة بالميليشيات المسلحة، ومتناسيًا أنَّ عين الفتنة هي التنقّل بالأسلحة بين الناس وإطلاق النار فوق رؤوسهم وعلى أعناقهم، ومتناسيًا أيضًا، أنَّ أهالي الكحّالة قد هرعوا أوّلًا لتقديم المساعدة قبل أن تُفاجئهم صناديق الأسلحة، ويُرعبهم التصرف المريب من قِبَل مرافقي الشاحنة. وهؤلاء الأهالي من عادتهم التاريخية مساعدة المركبات التي تنقلب على هذا المنعطف المشهور، وهم تصرّفوا بنفس النخوة والحمية مع الباص الذي انقلب عام ٢٠١٣ وكان يقلّ نازحين سوريّين هاربين من همجية النظام السوري وحلفائه، ومع حافلة حجّاج أربعين الإمام الحسين التي انقلبت في ١ نيسان ٢٠٠٥ بعد أن تعطّلت مكابحها. يومها قال نائب حزب الله عمّار الموسوي إنَّ ما يعزّينا جميعًا هو «هذه الغيرة من أهلنا في منطقة الكحّالة بدءًا من رئيس البلديَّة وكل شباب المنطقة الذين هبّوا منذ اللحظة الأولى لنجدة المصابين وحتى قبل سيارات الدفاع المدني والهيئة الصحيَّة». هؤلاء الأهالي الذين كانوا قبلًا أهل نخوة وغيرة ونجدة أصبحوا اليوم، عند الجيوش الإلكترونية التابعة للحزب، وبين ليلة وضحاها صهاينة داخل، وعملاء!

هؤلاء الأهالي الذين كانوا قبلًا أهل نخوة وغيرة ونجدة

أصبحوا اليوم صهاينة داخل، وعملاء!

وفي الخطاب ذاته قال نصرالله إنَّ «الحادثة في عُهدة القضاء، ووجوه الأشخاص باتت معروفة» وإنه أبلغ الجهات الأمنيَّة استعداده للتعاون. عن أي قضاء يتحدّث نصرالله؟! عن ذاك الذي يخنقه ويهدّد قُضاته بالقبع؟! وعن أي وجوه يتحدّث؟ وجوه الأهالي أم وجوه مرافقي الشاحنة من المسلّحين؟

وهنا لا بد من سؤال نصرالله: هل سلّم نفسه للقضاء بما أنّه هو صاحب الشاحنة المنقلبة على «الكوع»؟ هل سلّم سلاحه المتفلّت للجيش الذي اعتبره في خطابه المؤسّسة الضامنة للاستقرار والأمن في البلد؟ هل من الطبيعي أن تُنقل الذخائر بين الناس الآمنين؟ وهل من الطبيعي أن تنفجر بينهم؟

إنّ اهتراء الدولة وتسليمها وظيفتي الأمن والدفاع لـ «حزب الله» جعل منه دولة ساهمت في القضاء على المؤسّسات والإدارات الرسميَّة في سبيل إنجاح مؤسّساته المنتشرة في معقِل وجوده الشعبي والأمني، مما يؤمّن له غطاءً للمحافظة على السلاح في الداخل، والتهليل له بعبارة: «ستقطع اليد التي ستمتدّ لسلاح المقاومة».

هل من الطبيعي أن تتنقل الذخائر بين الناس الآمنين؟ وهل من الطبيعي أن تنفجر بينهم؟

ما جرى على كوع الكحّالة يكشف لنا ضعف الدولة وتعثّرها، وعدم قدرتها على تطبيق القوانين وحماية مواطنيها وبالتالي فشلها في الصمود أمام الدويلة والميليشيا واستمرار تدفّق السِّلاح غير الشرعي وسيطرة الجماعة الإيديولوجيَّة الطائفيَّة على المواطن كفرد وعلى المواطنيَّة كمنظومة متكاملة من الحقوق والواجبات والحريّات والديمقراطيَّة.

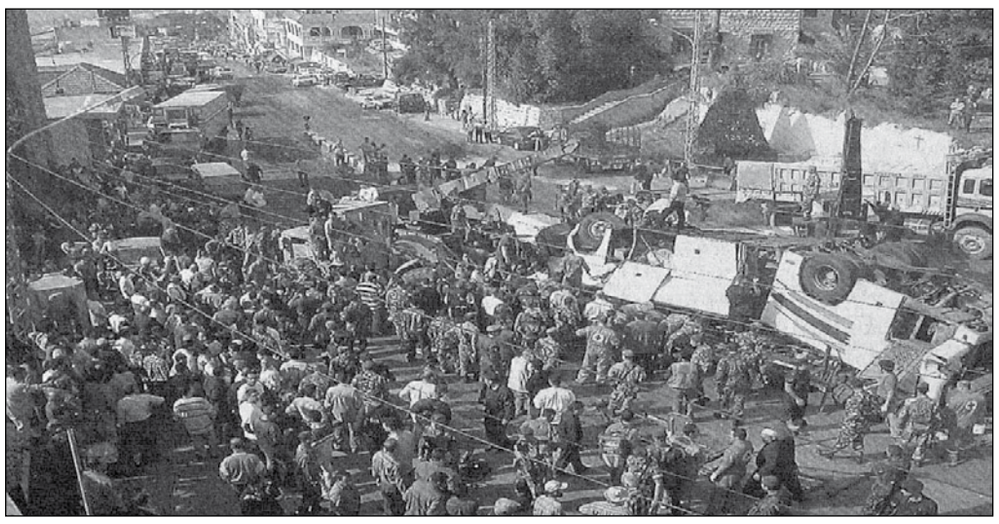

المصدر: جريدة النهار، ٢ نيسان ٢٠٠٥

المصدر: قناة المنار، ١٠ آب ٢٠٢٣

المرأة

أنجو ريحان

ولـدت أنجـو ريحـان فـي قريـة كفرصيـر جنـوب لبنـان، عـام ١٩٧٨. درسـت فـي الجامعـة اللبنانيَّـة وبـدأت بتدريـس الدرامـا والفنـون البَصريـة فـي عـام ٢٠٠٠. كان لهـا تجـارب سياسـيَّة مختلفـة. فقـد كانـت علـى سـبيل المثـال عضـوًا فـي المكتـب التنفيـذي فـي حركـة اليسـار الديمقراطـي ٢٠٠٤ مـع سـمير قصيـر وإليـاس عطاللـه وإليـاس خـوري وحنّـا صالـح وزيـاد ماجـد وآخريـن. شـاركت ريحـان فـي العديـد مـن الأعمـال الفنيَّـة التلفزيونيَّـة والسـينمائيَّة والمسـرحيَّة، وفـي الكوميديـا، برنامـج «مـا فـي مِتْلـو» مـن إخـراج ناصـر فقيـه. وفـي الأعمـال السـينمائيَّة كفيلـم و«هـلأ لويـن» ٢٠١١ مـن إخـراج نادين لبكـي. كمـا شـاركت فـي المسلسـلات التلفزيونيَّـة كـ«أبـو جعفـر المنصـور» ٢٠٠٨، «خُدنـا بحِلمـك» ٢٠٠٩، «الشـحرورة» ٢٠١١،«غَـزْل البنـات» ٢٠١٤ ومسلسـل «تشـيللو» ٢٠١٥. وآخـر أعمالهـا فـي هـذا المجـال كان مسلسـل «وأخيـرًا» (٢٠٢٣) مـن إنتـاج «صبّـاح إخـوان»، وإخـراج أسـامة عبـد الناصـر.

إلّا أنَّ ظهـور ريحـان الأبـرز كان علـى خشـبة المسـرح وتُعتبـر مسـرحيَّة «حَكي نسـوان» التـي عُرضت فـي عـام ٢٠٠٦ مـن أهـمّ أعمالهـا فـي بدايـة مسـيرتها. والمسـرحيَّة مـن كتابـة وإخـراج رينـا خـوري، وفيهـا أربـع ممثـلات يُضئـن بحواراتهـن علـى المشـاكل التـي تتخبّـط فيهـا المـرأة العربيَّـة كمسـائل العُنـف والخيانـة الزوجيَّـة والكَبْـت الجنسـي وغيرها.

جسّـدت ريحـان فـي أدوارهـا المسـرحيَّة وخصوصًـا فـي ظـلِّ التعـاون مـع الكاتـب والمخـرج يحيـى جابـر الشـخصيَّة الجنوبيَّـة. ففـي مسـرحيَّة «اسـمي جوليـا» (٢٠١٦) تمثّـل قصـة ابنـة الجنـوب القاطنـة فـي بـرج البراجنـة فـي الضاحيـة الجنوبيَّـة، وتتلبَّـس ريحـان خـلال المسـرحيَّة أكثـر مـن ثلاثيـن شـخصيَّة، منهـا دور والـدة جوليـا إنصـاف ووالدهـا علـي وزوجهـا حسـين وجدّتهـا وجدّهـا.

وفـي خـلال التعـاون مـع يحيـى جابـر أيضًـا بـرزت مسـرحيَّة «مجـدّرة حمـرا» (٢٠٢٢) وفيهـا لعبـت ريحـان أدوار ثـلاث سـيّدات مـن الجنـوب اللبنانـي يتحـدّرن مـن مدينـة النبطيَّـة، ويقطنّ فـي ضاحيـة بيـروت الجنوبيَّـة. وموضوعـات المسـرحيَّة هـي الـزواج والطـلاق والغُربـة والأولاد وإعـداد الطعـام، والمهـامّ المتنوّعـة للمـرأة والمشـاكل التـي تواجههـا.

عائلات وأنساب

آل الحاج

أسـرة ينضـوي تحـت اسـمها مسـلمون سُـنَّة فـي طرابلـس وبرجـا وبعاصيـر وعانـوت، ومسـيحيّون فـي قيتولـة ودَلْبَتـا والشّـبانيَّة وبسـكنتا وزحلـة وبحرصـاف، وشـيعة يتوزّعـون علـى الجنـوب وضاحيـة بيـروت الجنوبيَّـة والبقـاع وجبـل لبنـان، وفـق الآتـي: عَرَمْتـى، كفرحونـة، مَيْـس الجبـل، شـحور، قبريخـا ومعركة (جنوبًـا)، والشّـيّاح والغبيـري (الضاحية)؛ القماطيَّـة والجيّـة والمُغَيْـرِة والوردانيَّـة والنبـي يونـس (جبـل لبنـان)؛ وقلّايـا ولبّايـا ومـرج الزهـور وشمسـطار والهرمـل ومشـغرة وعيـن بورضـاي (البقـاع).

يُحكـى أنَّ آل الحـاج يعـود نسَـبَهم إلـى قريـة الطُّفيـل وهنـاك مـن يقـول إنَّ أصلَهـم يعـود إلـى آل إسـماعيل، وتحديـدًا إلـى علـي قاسـم سـليمان إسـماعيل مـن الغبيـري فـي الضاحيـة الجنوبيَّـة، ثـمَّ أصبـح لاحقًـا مـن كبـار التجـار فيهـا أواخـر القـرن التاسـع عشـر وكان يصـدِّر عـن طريـق البحـر، الحريـر والحمضيّـات إلـى اليمـن والسـعوديَّة مصطحبًـا معـه الكثيـر مـن أبنـاء منطقتـه وجوارهـا، الراغبيـن بتأديـة مناسـك الحـجّ حيـث ينزلـون فـي مينـاء جـدّة لتُكمـل الباخـرة خـط سـيرها إلـى اليمـن. وفـي طريـق العـودة كان يرجعهـم معـه إلـى لبنـان، وفـي ضـوء تكـرار تلـك الرحـلات أُطلـق عليـه لقـب «الحـاج» باعتبـار أنَّ باخرتـه تُرجـع الحجّـاج إلـى ديارهـم، وكان لـه ٤ أولاد اعتمـد أحفادهـم لاحقًـا تسـمية الحـاج فـي هويّاتهـم خـلال إحصـاء الدولـة اللبنانيَّـة الأول فـي العـام ١٩٣٢ بعدمـا كانـوا يتكنّـون بأسـماء الأجـداد. وهنـاك مـن يُنسـب عائلـة الحـاج فـي شـحور إلـى مدينـة الحلّـة فـي العـراق وإلـى آل مَزْيَـد الأسـديّين الذيـن تشـتّتوا بعـد حملـة تيمورلنـك الشـهيرة علـى العـراق وإحـراق بغـداد. ويقـال إنَّ آل الحـاج فـي الجيّـة أصلهـم مـن المُغَيْـرِة الجبيليَّـة؛ وآل الحـاج فـي القماطيَّـة يقـال إنَّ أصلهـم مـن آل ناصـر الدّيـن البقاعيَّـة الذيـن نزحـوا مـن بـلاد جبيـل.

علـى أي حـال فـإنَّ لقـب الحـاج مـن الألقـاب الكثيـرة التـداول فـي مختلـف الأديـان ويُطلـق علـى مَـن زار مكّـة مـن المسـلمين لأداء فريضـة الحـاج أو مَـن زار بيـت المقـدس مـن المسـيحيّين. وهـذا مـا يمكـن أن يفسّـر كَثْـرة تـداول اسـم العائلـة هـذه وعـدم إمكانيَّـة ردّه إلـى جَـذْر عائلـي واحـد. وأشـهر مَـن بـرز مـن الأسـرة فـي الغبيـري النائـب السـابق عبداللـه الحـاج (١٨٩٩-١٩٧٥) الـذي انتُخِـبَ نائبًـا عـن قضـاء بعبـدا المتـن وأُعيـد انتخابـه عـن دائـرة بيـروت الرابعـة فـي سـنة ١٩٥٣، والعلّامـة الشـيخ محمـد حسـين الحـاج الـذي أسّـس جمعيَّـة الإمـام المهـدي الخيريَّـة لإحيـاء شَـعائر أهـل البيـت عـام ١٩٨٩. أمّـا جنوبًـا فيبـرز فـي شـحور الشـيخ محمـد علـي الحـاج.

فكر وثقافة

محمد علي الحاج

وُلِـدَ الشـيخ محمـد علـي الحـاج ابـن قريـة شـحور الجنوبيَّـة فـي بيـروت عـام ١٩٧٧ وتحديـدًا فـي منطقـة رأس النبـع. التحـق بالحَـوْزة العلميَّـة فـي بدايـة التسـعينيّات. لـه العديـد مـن الاهتمامـات الدّينيَّـة والسياسـيَّة والاجتماعيَّـة. فقـد اهتـمّ بقضايـا الشِّـيعة اللبنانيّيـن وبالفِقـه الشِّـيعي ومسـائل السياسـة وخـاض فـي العديـد مـن النشـاطات السياسـيَّة والاجتماعيَّـة وشـارك فـي أكثـر مـن تجمّـع، منهـا تجمّـع «ربّانيّـون بـلا حـدود» بهـدف المسـاهمة فـي صَـوْغ دور رجـال الدّيـن فـي الحفـاظ علـى الاسـتقرار وعلـى السـلام الاجتماعـي والوطنـي، والمبـادرة تحمـل توقيعَـي جمعيَّـة «هيـا بنـا» (لبنانيّـون فـي سـبيل مواطنـة جامعـة)، و«معهـد العلاقـات الثقافيَّـة للخارجيَّـة الألمانيَّـة».

اهتـمّ الشـيخ الحـاج بقضايـا الشِّـيعة فـي المتـن الشـمالي وتبـوّأ إمامـة مسـجد البوشـريَّة بدايـة العقـد الأول مـن القـرن الواحـد والعشـرين وسـكن بالقـرب منـه وظـلّ يتابـع إمامتـه لفتـرة طويلـة مـن الزمن. ونشـر كتابًـا عـام ٢٠١٦ حـول المتـن الشـمالي بعنـوان «الخالـي والحالـي مـن تاريخ الشِّـيعة فـي المتن الشـمالي».

كذلـك اهتـمّ بتاريـخ الحَـوْزات العلميَّـة وتطوّرهـا ولـه فـي هـذا الصـدد مؤلّفـات منهـا: «تاريـخ الحَـوْزَة العلميَّـة فـي شـحور» وصـدَرَ عـن دار المحجّـة البيضـاء والـدار العامليَّـة عـام ٢٠١٧، ولـه فـي تاريـخ أسـرة آل الحـاج كتـاب «الجـذور مـن الحلّـة إلـى شـحور» وهـو إضـاءة علـى أسـرة آل الحـاج وإنجازاتهـا وأعلامهـا وهجرَتهـا مـن الحلّـة فـي العـراق إلـى شـحور جبـل عامـل. ولـه عـام ٢٠١٥ حـول التاريـخ الاجتماعـي والدّينـي والسياسـي حـول أسـرة آل شـرف الدّيـن وتحديـدًا حـول السـيّد صالح شـرف الدّين «كتـاب درَّة الأخبـار فـي دارة وسُـلالة الأخيـار».

وعـام ٢٠٠٨ أسّـس الشـيخ محمـد علـي الحـاج فـي ضاحيـة بيـروت الجنوبيَّـة حَـوْزَة الإمـام السـجّاد وهـي كمـا تعـرّف عـن نفسـها تعمـل فـي «إطـار السّـعي لإعـداد مبلِّغيـن رسـاليّين يتمتّعـون بمؤهّلات علميَّـة ودينيَّـة تجعلهـم قادريـن علـى مواكبـة التطـوّر الراهـن»، وهـي تجمـع بيـن العمـق العلمـي للدراسـة الحَـوْزَويَّة التقليديَّـة والأسـاليب التربويَّـة الحديثـة، مـن ناحيـة المنهـج والنظـام والتخصّـص. وقـد ألّـف الحـاج فـي هـذا الصـدد سلسـلة مـن الكتـب التعليميَّـة المعـدّة بأسـلوب منهجـي، تتميّـز بالتـدرّج فـي تقديـم المعلومـات؛ والمـواد هـي: الأحـكام، التجويـد، القواعـد الفقهيَّـة، الصـرف، النحـو، الإمـلاء والمنطـق، ولـكل مـادّة دراسـة كتَـبَ: الوجيـز، الوسـيط، الوسـيع.

يتابـع الحـاج مسـائل الخلـل فـي المحاكـم الجعفريَّـة والعلاقـة بيـن هـذه المحاكـم والمجلـس الإسـلامي الشِّـيعي الأعلـى ودار الإفتـاء الجعفـري ولـه فـي هـذا المجـال مواقـفَ عبّـر عنهـا فـي مجموعـة مـن المقـالات نشـرها فـي الصحـف والمواقـع الإلكترونيَّـة وغيرهـا، وقـدّم مـع راشـد حمـادة ولقمـان سـليم دعـوى أمـام مجلـس شـورى الدولـة، بشـأن التسـيّب القانونـي فـي مؤسّسـة المجلس الإسـلامي الشِّـيعي الأعلـى. وقـد نشـرت فـي كتيّـب عـن الهيئـة المسـتقلة لمتابعـة شـؤون المجلـس الإسـلامي الشِّـيعي الأعلـى عـام ٢٠١٢ بعنـوان «قضيَّـة المجلـس الإسـلامي الشِّـيعي الأعلـى». وصـدَرَ لـه عـام ٢٠١٩ منشـور بعنـوان «إصلاحًـا للخلـل القانونـي فـي المجلـس الإسـلامي الشِّـيعي الأعلـى» وفيـه يقتـرح إصلاحـات لهـذه المؤسّسـات وربطهـا بعضهـا ببعضهـا الآخـر ضمـن إطـار قانونـي واضـح أسْـوَة بالمؤسّسـات الروحيَّـة للطوائـف الأخـرى.

ألّـف مجموعـة كبيـرة مـن الكتـب التـي تناولـت مختلـف المجـالات ومنهـا: «الفتـاوى الحديثـة والمعاصـرة، منهـاج الصالحيـن»، وهـو فتـاوى المرجَعَيـن السّـيد أبـو القاسـم الخوئـي والسـيّد علـي السيسـتاني (٢٠٠٨)؛ عـن دار المحجـة البيضـاء كتـاب «جامـع فتـاوى الحـج» وهـو عبـارة عـن مجموعة فِقهيَّـة تتنـاول الاسـتفتاءات الشـرعيَّة لمراجـع الدِّيـن المختلِفيـن حـول فتـاوى الحـج؛ «جامـع فتـاوى الصـوم» وهـو موسـوعة فِقهيَّـة تحتـوي علـى الاسـتفتاءات الشـرعيَّة حَيـال الصَـوْم لمراجـع الدّيـن العظـام، وقـد نشـره باسـم محمـد علـي الأسـدي عـن دار الصفـوة عـام ٢٠١٠؛ «مجمـع فتـاوى فقهـاء العصـر» عـن دار المحجّـة البيضـاء عـام ٢٠١٣؛ «فقـه الانتخابـات» عـن دار المحجّـة البيضـاء ٢٠٠٩، «الحكـم الشـرعي لتجميـد الحيوانـات المنويَّـة والبويضـات» عـن دار المنهل عـام ٢٠٠٦؛ «فقـه الدلالة» الصـادر عـن مكتـب الأمانـة العقـاري عـام ٢٠١٠، وهـو يدور حـول الأحـكام الشـرعيَّة المتعلّقـة بوظيفة السمسـرة ومـا يتعلـق بهـا مـن مفاهيـم رمضانيَّـة؛ وعـن الـدار العامليَّـة عـام ٢٠١٥ كتـاب «ذات الوقود إذ هـم عليهـا قعـود، رسـالة مفتوحـة إلـى علمـاء الدّيـن الشِّـيعة اللبنانيّيـن»، ويسـلّط فيـه الكاتـب الضـوء علـى المشـهد السياسـي اللبنانـي بعـد رحيـل الشـيخ محمـد مهـدي شـمس الدّيـن، والسـيّد محمـد حسـين فضـل اللـه، وافتقـاد السـاحة اللبنانيَّـة لشـخصيّات علمانيَّـة ذات وزن ولديهـا مسـتوى علمـي فِقهـي فكـري يجعلـه يشـكّل حيثيَّـة حَـوْزَويَّـة معتدًّا بهـا، وهذا ما سـهّل دخـول القوى السياسـيَّة إلـى هـذا الميـدان؛ وعـن دار المحجّـة البيضـاء عـام ٢٠١٤ صـدَرَ لـه كتـاب «مطارحـات فـي المرجعيَّـة الشِّـيعيَّة فـي العـراق»، وهـو نـصّ الحـوار الـذي جـرى بيـن مجموعـة مـن المثقّفيـن العراقيّيـن مـع الكاتـب حـول قضايـا تتعلّـق بالمرجعيَّـة الدّينيَّـة لـدى المسـلمين الشِّـيعة؛ تزويـج القاصـرات ـ وجهـة نظـر دينيَّـة، مطالعـة شـرعيَّة فـي قانـون حمايـة المـرأة مـن العنـف الأُسَـري؛ عـن «دفاتـر هيـا بنـا» عـام ٢٠١١ «فـي ضيافـة الشـيطان الأكبـر» وفيـه يتحـدّث عـن وقائـع رحلتـه إلـى الولايـات المتّحـدة عـام ٢٠١٠؛ «ميشـال سـليمان هكـذا تكـون رئيسًـا للجمهوريَّـة اللبنانيَّـة»، «الحبـر الأعظـم والأقانيـم الثلاثـة»، «الشِّـيعة فـي لبنـان بيـن ظلـم الماضـي ومخاطـر المسـتقبل»، «هـذا المجلـس الإسـلامي الشِّـيعي الأعلـى، الأدوار، الواقـع، الأفـق»؛ وصـدَرَ لـه عـن «دفاتـر هيـا بنـا» عـام ٢٠٠٨ «وصيَّـة مـودّع» وهـو وصيَّـة مفتوحـة سـطّرها الشـيخ وأكّـد فيهـا بعضًـا مـن قناعاتـه وتوجـه، كمـا كتـب فـي مقدّمتهـا بـآراء راسـخة، ورسـائل هادفـة حَيـال مَـنْ عـاش معهـم، عائلـة وأصدقـاء، ساسـة وعلمـاء، أحبّـة وأعـداء

جغرافيا وسكّان

تقوم بلدة شحور على الهضبة الجنوبيَّة من مجرى الليطاني وتقع على مسافة ٩٣ كلم من بيروت عبر صيدا ـ القاسميّة ـ العبّاسيّة ـ دير قانون ـ دردغيّا ـ أرزون. وعلى مسافة ٢٢ كلم من تبنين إلى الشمال الغربي، و٢٠ كلم من صُور شمالًا شرقيًّا، شمالي غربي صريفا وجنوبي شرقي صير الغربيَّة وعلى مسافة ٧ كلم من دير قانون النهر شمالًا شرقيًّا. وتتبعها مزرعة كفرنيه، وتقدّر مساحتها الإجماليَّة بحوالى ٨٠٠٠ دونم.

تُعتبر شحور مقرًّا لآل الزّين الذين لعبوا دورًا هامًّا في تاريخ جبل عامل وكانوا حكّامًا لها ولهم فيها آثار وأبنية، وكانت الملكيَّة الأكبر للأراضي في شحور لهم.

وقعت فيها المعركة الشهيرة عام ١٧٨٤ بعد أن اجتمع فيها عدد من أعيان جبل عامل وقرّروا الثورة على أحمد باشا الجزّار وكان على رأسهم حمزة بن محمد النصّار من آل علي الصغير والشيخ علي الزّين من شحور، فهاجموا حاكم البلاد العام المعيَّن من قِبَل الجزّار وقتلوه في قلعة تبنين، واستولوا على الخزانة الأميريَّة. فأرسل الجزّار جيشه يتعقّب المهاجمين. فدارت في شحور معركة حامية سقط فيها حمزة وهرب علي الزّين إلى العراق ثمَّ إلى إيران وبعدها إلى الهند. اشتهرت شحور بحَوْزَتها العلميَّة التي تأسّست في منتصف القرن السابع عشر واستمرّت إلى نهاية القرن الثامن عشر. وكان السيّد إبراهيم بن زين العابدين الموسوي ونجله محمد من الذين تركوا الأثر الكبير على حركتها العلميَّة.

في قاموس لبنان المأخوذ عن إحصاء ١٩٢٤ ورد أنَّ شحور تابعة مديريَّة تبنين من محافظة صُور، تعداد سكّانها ٦٧٩ نسمة، كلّهم شيعة، وقدّر كتاب «تاريخ شحور الاجتماعي» عدد سكانها قُبيل الحرب العالميَّة الأولى بـ١٠٥٠ نسمة، وفي العام ١٩٣٢ ١٠٨٧ نسمة، وفي العام ١٩٤٠، ١٢٩٦ نسمة.

قّدر يوسف عنداري في «دليل المدن والقرى اللبنانيَّة» عدد سكّانها سنة ١٩٧١ بـ ٣٩٠٠ نسمة، وقدّرهم عفيف بطرس مرهج في موسوعة «اعرف لبنان» بنفس العام ٨٠٠٠ نسمة، وقدّرهم علي فاعور عام ١٩٨١ في بحثه «الاحصاءات السكّانيَّة وعوائق التنمية في جنوب لبنان» بـ٣٩٠٨ نسمة.

ينقل أحد التقارير الصحفيَّة عن أحد مخاتيرها في عام ١٩٩١ أنَّ عدد سكّانها كان يُقارب الـ٢٠ ألف نسمة آنذاك، يقطن منهم في البلدة حوالى ٥٠٠٠، أمّا البقيَّة فتتوزّع بين بيروت، حوالى ٧٠٠٠ نسمة، وبلاد الاغتراب ٨٠٠٠ نسمة.

وبحسب موسوعة قرى ومدن لبنان فقد بلغ عدد أهاليها المسجّلين في بداية الألفيَّة قرابة ٩٠٠٠ نسمة منهم حوالى ٣.٥٠٠ ناخب، وهناك الكثيرون في بلدان الانتشار.

عرِفَت هذه البلدة هجرة أبنائها الأولى خلال العقدين الأول والثاني من القرن الماضي إلى الأميركتين ثمَّ في مطلع الثلاثينيّات شَهِدت نزوح شبابها إلى بيروت، وتبدّلت وِجْهَة الهجرة في منتصف الأربعينيّات نحو أفريقيا ودول الخليج العربي ثمَّ في نهاية الثمانينيّات برزت ظاهرة اللجوء إلى أوروبا حيث بلغ عدد المهاجرين إليها، بحسب أحد التقارير الصحافيَّة عام ١٩٩١ حوالى ١٥٠٠ مهاجر، بحيث يقدّر في هذا العام بما يقرب ٤٠٪ من سكّان البلدة.

عام ١٩٥٥ شقّت الطريق المعبَّدة إليها، وعام ١٩٦٨ وصلتها الكهرباء، وفي عام ١٩٦٦ حصلت شحور على مجلس بلدي لأول مرّة ومصدر المياه إليها هو مشروع رأس العين والآبار الارتوازيَّة. في انتخابات عام ١٩٧٢ بلغ عدد ناخبيها ١٢٠٠ ناخبٍ حصل كاظم الخليل على ٦٠٪ من أصواتهم. أمّا عام ٢٠٢٢ فبلغ عدد ناخبيها ٥٣٩٧ بينهم ٥٢٧٨ شيعيًّا، صوّت من العدد الإجمالي ٢٥٢٠ ناخبًا وحصلت لائحة الثنائي على ٢٣٣٥، ونالت اللوائح الأخرى أقل من ٢٠٠ صوت.

عائلاتها» كلّهم شيعة: الزّين، أرزوني، باشا، بحسون، بزّي، بعلبكي، بلّوط، بيضون، الحاج، الحسيني، خشّاب، خليل، درويش، دغمان، دمشق، دهيني، ذيب، زريق، سنّان، سمّوري، شبقجي، شرف الدّين، الصادق، عاصي، عبّاس، عجيني، عز الدّين، عسّاف، عنيسي، عيسى، فارس، فوّاز، قازان، مزْيَد، مشلب، مصري، مظلوم، مهدي، نعمة».

برز منها السيّد عبد الحسين شرف الدّين وهو من الأسرة التي اضطُرّت إلى النزوح من جُبَع (جباع) إلى شحور نتيجة خلافات مع حكّامها المنَاكرة كما تذكر بعض المصادر، والسيّد عبد الحسين المتوفّى عام ١٩٥٧ كان له دور سياسي وعلمي هام في منطقة جبل عامل؛ برز منها أيضًا أحمد عارف الزّين، صاحب مجلة «العرفان» التي بدأ بإصدارها عام ١٩٠٩، كما تُرَدُّ جذور الإمام موسى الصدر إليها، ويتحدّر منها الشيخ محمد علي الحاج، ومحمد عبد الحميد بيضون.

لوحات

من ديوان الذاكرة اللبنانية: www.memoryatwork.org

"نحن وشعبان مرتبطون بمرجعية الخميني وشعبان يتناقض و"الاخوان المسلمين"

الموسوي: بري يتعامل مع اميركا وعلماء الشيعة لا يبايعونه!

خطف السوفيات لعبة استخبارات عالمية... والنصارى "اقرب الناس مودة"

النبي شيت - "النهار العربي والدولي"

حسين الموسوي، احد قادة "حزب الله"، واحد الاعضاء الاساسيين في الوفد الذي فاوض بين دمشق والشيخ سعيد شعبان خلال معارك طرابلس.

في حديث له مع "النهار العربي والدولي" يؤكد الموسوي ان شعبان يتناقض و"الاخوان المسلمين" وانه مرتبط بزعامة الامام الخميني ومرجعيته، وقال ان لا احد من علماء الشيعة ومن المرتبطين بخط الثورة الاسلامية يبايع الوزير نبيه بري "الذي يتعامل مع اميركا". كما يعتبر ان خاطفي الديبلوماسيين السوفيات غير حريصين على طرابلس وان استمرار احتجاز الديبلوماسيين مناقض للهدف الذي طرح بعد عملية الخطف.

وفي ما يأتي الحوار معه:

س - معارك طرابلس، هل كانت بين "المسلمين والملحدين" كما جاء في احد بيانات حركة التوحيد؟

ج - نحن نرى ان الذين اشتركوا في معركة طرابلس وان المسببين لهذه المعركة والمشاركين فيها، كان يجب عليهم جميعاً ان يتجنبوها، لان الاولوية في القتال يجب ان تبقى ضد اسرائيل والمتعاملين معها.

اما عن الاسماء فربما كان بين المشاركين في الهجوم على طرابلس "ملحدين"، ولكن لا نستطيع ان نعتبر ان كل الذين هاجموا طرابلس هم من الملحدين، لانه ربما قد شارك من هو غير ملحد. والاسماء ليست مشكلة، المهم ان المعركة خارج مكانها وخارج زمانها ونحن تصرفنا على هذا الاساس لايقافها.

س - لماذا مُنعت الاحزاب اليسارية من اقامة مكاتب لها في عاصمة الشمال؟

ج - الذي اعرفه ويعرفه الجميع، هو ان بعض هذه الاحزاب، حتى ساعة بدء الاشتباكات، كانت له مكاتب في طرابلس، وبالتحديد الحزب السوري القومي الاجتماعي. لكن بعض الاحزاب الاخرى التي لا استطيع ان اسميها - لانني لا اعرفها بالضبط - ربما الحزب الشيوعي على سبيل المثال، اما انها اجبرت على ان تخرج من طرابلس بسبب حدة التناقض بينها وبين المسلمين، او انها فضلت الخروج. المهم لم تكن طرابلس كما اعلم وكما شاهدت، محرمة على الاحزاب.

كان بعضها موجود وبعضها غير موجود.

س - اذا، الحجة في القول ان التوحيد منع الاحزاب اليسارية من فتح مكاتب لها في طرابلس، هي حجة واهية؟

ج - انت تعرف والكل يعرفون ان القوميين السوريين لهم مكتب وحتى اكثر من مكتب. وفي بيانات القوميين السوريين مثلا، انهم كانوا يدافعون عن مكتبهم المطوّق. اضافة الى ذلك انه في الفترة السابقة كان هناك بعض التنسيق الامني بين التوحيد والقوميين السوريين، واهل طرابلس يعرفون متى حصل هذا التنسيق. اذا، مسألة منع وجود الاحزاب في طرابلس كما قيل ليس صحيحاً برأيي وانا اقول، بانه لا يجوز ان تكون الاحزاب ممنوعة في طرابلس، لانه اذا كنت انا غير صالح، فعليك ان تمنعني بالاسلوب الايجابي، اي بالمنافسة السياسية والفكرية والاجتماعية. وغير صحيح ان تمنعني بحد السيف.

دولة "الاخوان المسلمين"

س - ذكر ان مدينة طرابلس اصبحت في الفترة الاخيرة "دولة الاخوان المسلمين"، فهل هذا صحيح؟.

ج - نحن نعرف ان امير المسلمين في طرابلس هو اخونا الشيخ سعيد شعبان. والشيخ شعبان هو مسلم وابن الاسلام، ومن معه مسلمون وابناء الاسلام، لكن اذا كان المقصود بـ"الاخوان المسلمين" بعض الاشخاص المنحرفين الذين مارسوا ممارسات لا يقرها الاسلام في غالب الاحيان، فهذا غير صحيح لان الشيخ سعيد على تناقض مع جماعة "الاخوان المسلمين" المقصودين بالسؤال، وكل الناس يعرفون انه من المرتبطين بخط الثورة الاسلامية وبمرجعية وزعامة الامام الخميني. فكيف يكون اذا اميراً للمسلمين في طرابلس ونقول في نفس الوقت ان طرابلس اصبحت خاضعة لـ"الاخوان المسلمين". ما هذا التعبير غير الصحيح؟. ربما يكون هناك بعض الافراد الذين يمكن ان نسميهم "اخوان مسلمين"، لكن الاساسيين في طرابلس كما نعرف ونؤكد هم من المسلمين الطيبين المجاهدين.

س - اذا كان هناك حسب قولك بعض الافراد من "الاخوان المسلمين" في طرابلس، فهذا يعني سكوت من المسؤولين في المدينة عن وجودهم!

ج - انا لم اسمع ان الشيخ سعيد وقيادة "حركة التوحيد الاسلامي" قد اعلنوا ان طرابلس اصبحت كلها حركة توحيد بمعنى آخر انهم نظفوها من كل الذين لا يؤمنون بما تؤمن به "حركة التوحيد الاسلامية".

س - لماذا هذا التعاطف بينكم كـ"حزب الله" وبين "حركة التوحيد الاسلامية"؟

ج - يجمعنا بـ"حركة التوحيد الاسلامية"، وبالمجاهد الشيخ سعيد شعبان بالذات، وبالاخوة المسؤولين والمجاهدين معه، الولاء لقيادة الامام الخميني. فنحن قائدنا واحد، وقبل الامام الخميني قائدنا رسول الله، والآن نحن نسير في خطٍ يقوده الامام الخميني. وربما اننا ندعي نظرياً الالتزام بقيادة الامام الخميني، لكن على الارض ربما نكون غير منسجمين، يعني لا نقول بخط سير جهادي واحد، فالواقع ان الشيخ سعيد والذين معه، يطرحون ما نطرح، ويمارسون ما نمارس في ما يتعلق بقتال اسرائيل في الجنوب العزيز، وقتال المتحالفين والمتعاملين معها. اذا تجمعنا مسألة الولاء لقيادة واحدة، وخندق واحد، وان كنا ربما في تفصيلات اخرى، غير متفقين مئة بالمئة.

س - هل تعتقد ان حرب طرابلس انتهت؟.

ج - لا نستطيع ان نتحدث عما هو في علم الغيب.

ونعتقد ان التآمر على لبنان وعلى طرابلس كجزء من لبنان، مستمر. لن يتخلى المتآمرون عن البحث في خطط جديدة وفتن جديدة وعن روايات جديدة. لكنني متفائل، واعتقد ان "المتعلقين" بطرابلس من اخواننا في قيادة "حركة التوحيد"، والمهتمين بموضوع طرابلس مثلا اخواننا السوريين، مصممون على التعاون من اجل تجنيب طرابلس مزيد من الخسائر والدمار.

س - تتناقل بعض الاوساط ان الرئيس السوري حافظ الاسد، حذّر خلال لقائه بالشيخ سعيد شعبان من وجود "الاخوان المسلمين" في طرابلس. فماذا جرى بالتحديد في هذا الاجتماع؟.

ج - طبعاً، الاخوة السوريون وعلى رأسهم الرئيس حافظ الاسد، كانوا يشكون دائماً من ان في طرابلس جماعة من الاخوان او من غير "الاخوان المسلمين"، وقد ذكروا هذا في اكثر من اجتماع. لكننا لمسنا ثقة الرئيس الاسد والاخوة في سوريا بالشيخ سعيد شعبان، وهي ثقة كبرى، وعلى هذه الثقة اعتمد وكانت الاساس في نجاح الحوار الذي جرى في دمشق والذي كان من نتيجته الاتفاق الذي يطبق الآن في طرابلس.

س - اليس غريباً خطف ديبلوماسيين سوفيات على يد منظمات اسلامية وقتل احدى الرهائن، وكأن العداء قديم ومستحكم؟

ج - نعرف جميعاً التناقض الفكري بين الشيوعية والاسلام. ومن جهتنا، لا نستطيع ان نؤكد ان الجهة التي خطفت السوفيات وقتلت احدهم هي جهة اسلامية ملتزمة اسلامها تماما. قد تكون كذلك وقد لا تكون. لكن وجهة نظرنا بالتحديد هي ان التعامل مع السوفيات بالصورة التي حصلت في بيروت ليس مناسباً ابداً. نحن كمسلمين يجب ان نتقيد بسلم الأولويات في الصراع، صراعنا مع اسرائيل. ويجب ان ينحصر مع اسرائيل. ليس صحيحاً ان توسع دائرة الصراع حتى تشمل الجهات التي لا نريد ان نقول انها صديقة للعرب او للمسلمين، على الاقل ان نوسع دائرة الصراع بطريقة لا تناسب اولوية الصراع مع اسرائيل. اذاً على المسلمين ان يفكروا على هذا الاساس وهكذا يكون خطف السوفيات غير صحيح بنظري. واذا نشر كلامي والسوفيات لم يطلقوا بعد، فاريد ان اقول ان استمرار احتجازهم مناقض للهدف الذي طرح بعد عملية الخطف. قالوا انهم لن يفرجوا عنهم قبل وقف اطلاق النار الشامل في طرابلس. لقد مضت خمسة ايام على تطبيق وقف اطلاق النار كاملا في طرابلس فما هو مبرر ابقاء السوفيات محتجزين؟ واستطيع ان اتهم الجهة التي خطفت بانها غير حريصة على وضع طرابلس. ربما يكون هناك سبب آخر غير طرابلس، وربما تكون مسائل استخبارات عالمية تلعب لعبتها في بيروت.

س - هل تعتقد ان الجهة التي خطفت الديبلوماسيين السوفيات هي نفسها التي تحتجز الرهائن الاميركيين والفرنسيين؟.

ج - الذين يحتجزون الاميركيين يقولون انهم "الجهاد الاسلامي" والذين يحتجزون السوفيات يدعون انهم "منظمة التحرير الاسلامية". اذا السوفيات في مكان والاميركيون في مكان آخر، هذا ما نستطيع ان نستنتجه من بياناتهم الصادرة.

س - اشيع في الفترة الاخيرة، ان مكان احتجاز الرهائن الاميركيين هو بعلبك وثكنة الشيخ عبدالله بالتحديد وأنهم في تصرف "حزب الله". ومسؤولو حركة "امل" قالوا انهم يجرون اتصالات مع مسؤولي "حزب الله" من اجل اطلاق المخطوفين الاجانب والموجودين لديهم، فهل هذا صحيح؟

ج - اذا قلت انهم ليسوا في بعلبك، ربما لا اكون دقيقاً في كلامي. قد يكونون في بعلبك، وقد يكونون في بيروت، وقد يكونون في البحر... يعني ممكن ان يكونوا في كل مكان. المهم في الموضوع ان "امل الاسلامية" او "حزب الله" ليست لهم علاقة بموضوع الاميركيين وقد اعلنت "الجهاد الاسلامي" مسؤوليتها عن هذا الموضوع، وفي البداية كنا نعتقد انه لا وجود لمنظمة تدعى "الجهاد الاسلامي" لاننا لا نعرف احداً يحمل هذا الاسم وهذا العنوان في بيروت وغير بيروت. لكن يبدو ان هذه المنظمة هي فعلا موجودة لانها تصدر بيانات. وكنا نعتقد ان عنوان "الجهاد الاسلامي" يستعمل في مواقف ربما تكون فعلا على علاقة ببعض المؤمنين المسلمين، واحيانا في مواقف لا نعتقد ان لها علاقة مع المسلمين ابداً. على اي حال، اذا كانت "الجهاد الاسلامي" منظمة موجودة فهي التي تقول انها مسؤولة عن خطف الاميركيين. فما علاقة "امل الاسلامية" او "حزب الله" بهذا الموضوع. وكما قلت سابقاً، "حزب الله" او "امل الاسلامية" التي هي جزء من امة "حزب الله"، لا يدعي اي منهما انه ملك بعلبك او ملك البقاع او اننا كانتون ايضاً في هذه المنطقة. انتم تعرفون ان كل الناس موجودون في بعلبك، ولكن بالنسبة للشيخ عبدالله (ثكنة الامام علي) او المراكز التي لنا علاقة فيها، فلا وجود للاميركيين في هذه الاماكن.

ودليلنا على ذلك ان الاميركي الذي قيل انه فرّ من بعلبك قبل اشهر ونحن سمعنا فعلا ذلك من الاذاعات ومن بعض الناس الذين كانوا يتحدثون في بعلبك وقريباً من المكان الذي تسلم السوريون فيه الاميركي قالوا ان هناك اميركياً او فرنسياً المهم انسان اجنبي بيد السوريين الآن، وبعدئذ تبين انه احد الاميركيين الذين كانوا محتجزين. هذا يعني ان له رفاقاً آخرين موجودين في بعلبك او ليسوا موجودين، الحقيقة لا نعلم عن هذا الموضوع شيئاً ابداً.

س - الانقسامات المذهبية السنية - الشيعية - الدرزية، ظهرت واضحة جداً اثناء حرب طرابلس. فهل من خطوات من اجل اعادة اللحمة؟

ج - لست ادري كيف ظهرت...

للدروز وضعهم!

س - ظهرت من خلال اضراب التضامن مع طرابلس حيث ان المناطق السنية اضربت فيما بقيت الاحوال طبيعية في مناطق اخرى.

ج - بالنسبة الى اخواننا الدروز، فلهم واقعهم ولهم وضعهم. وهم يعبّرون عنه. اما بالنسبة الى الشيعة وباعتبارنا منهم، فلا اعتقد ان الاهتمام محصور بباب محل اقفل او لم يقفل، فمن الشيعة من كان يدخل الى طرابلس تحت القصف لارتباطه بوضع المسلمين هناك ولاستعداده للتضحية من اجل هؤلاء الناس. فعلى هذا الاساس لا نستطيع ان نقول ان الشيعة لم يتعاطفوا والسنة تعاطفوا. من السنة من كان يلهو ويمارس هواياته وطرابلس تحترق، ومن الشيعة من كان يدخل ليلتحم مع المؤمنين المعرضين للقصف في طرابلس حتى يساعد في مسألة وقف اطلاق النار واحلال التفاهم. الشيعة ليسوا كلهم تفكيراً واحداً والسنة ليسوا كلهم تفكيراً واحداً او سلوكاً واحداً. من المسلمين من يهتم بامور المسلمين ومنهم من لا يهتم. جعلنا الله من المهتمين بامور المسلمين والمستضعفين من كل الفئات.

س - اذا ليس هناك انقسامات مذهبية؟

ج - الانقسامات موجودة، يعني اذا اردت ان تعطيها عنواناً مذهبياً فتستطيع، وعنواناً سياسياً ايضاً وعنواناً آخر موجوداً... نحن شيعة، هل ترى الشيعة في خط سياسي واحد مثلا وهل المسيحيون في خط سياسي واحد والدروز واقعاً في خط سياسي واحد؟

س - لكن يبدو ان الشيعة بايعوا نبيه بري موقفهم السياسي؟

ج - انت دقيق في هذا الطرح؟.

س - اقول ما تطرحه القيادات الدينية الشيعية.

ج - من مثلا؟.

البيعة

س - معظم رجال الدين الشيعة، سماحة الشيخ عبد الامير قبلان...

ج - نحن لا ننزعج اذا تمكن الاستاذ نبيه بري من ان يسلك السلوك الذي يمكنه من الحصول على تأييد غالبية الشيعة وغالبية المسلمين. نحن نريد لكل انسان عامل ان يحقق التأييد. لكن الواقع انه في غياب الامام موسى الصدر في لبنان، فالذين يمثلون الشيعة اذا اردنا التصنيف هم في الواقع على

صعيدالعلماء في التمثيلالشرعي والقيادات هي من العلماء وبالتحديد السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الشيخ حسن خراد.. لكن الاساسيين من علماء الشيعة وبالتحديد العاملون على الارض هم السيد محمد حسين فضل الله والشيخ شمس الدين. والذين لهم علاقة بالوضع السياسي في لبنان يعرفون ان لا احد من هؤلاء ومن غيرهم من العلماء المجاهدين في بعلبك او في الجنوب، العلماء الاساسيون المرتبطون بخط الثورة الاسلامية وبقيادة الامام الخميني ومرجعيته، لا احد منهم يبايع لا نبيه بري ولا غير نبيه بري. المسلمون الحقيقيون والشيعة الحقيقيون بايعوا الامام الخميني ومن هم في خط الامام الخميني ميدانياً وحقيقة. هذا هو الواقع. على اي حال، لسنا في صدد انتخابات او استفتاءات ليعمل كل منا، وكل يعمل على شاكلته، وان شاء يبقى الافضل، ويصمد الاصدق الى نهاية الشوط.

س - هل نبيه بري هو من المستضعفين؟.

ج - (ضحك) هل انا الله كي اعلم؟ فالله وحده يعرف من هو مستضعف ومن هو مستكبر، ولسنا في صدد تصنيف من هذا القبيل. لدي اعتراض كبير على سياسة نبيه بري وعلى سلوكه السياسي، اعتراضات تكون ربما كثيرة، وربما تكون له اعتراضات علي، لكن هل هو مستضعف او مستكبر فهذه مسألة لا تهم المسلمين ولا تهم المستضعفين كثيراً. فنسأل الله ان يهديه ويهدينا.

س - ذكر ان جولتك والشيخ صبحي الطفيلي على كل من طهران ودمشق كانت من اجل المصالحة والاحتكام بسبب خلافات حادة وقعت بينكما، وانه جرى تمويل "حزب الله" من جديد، فهل هذا صحيح؟.

ج - هذا ما يحلم به الذين هم وراء وكالات الانباء. الشيخ صبحي الطفيلي اخ كريم مجاهد، تربطنا واياه علاقة اخوة في الله تعالى منذ امد بعيد، اي منذ اكثر من اثنتي عشرة سنة تقريباً. وبيننا علاقات بيتية واخوة قديمة. ليس بيني وبين الشيخ صبحي الطفيلي ولا اي اخ آخر اي مشكلة نهائياً. لا يجوز لنا كمؤمنين بالله ان نضيع وقتنا في امور كالتي نكرت. نحن متفقون ومتعاونون وفي خط واحد، وموالون لامام واحد ومتوكلون على اله واحد. كل هذا دعايات واخبار فارغة لا اساس لها من الصحة. هم يريدون ان يروا ضعفاً في مسيرة "حزب الله"، فيخترعون هذه الاخبار التي يمكن بنظرهم ان تنعكس وهناً او استياء عند المؤمنين، لكن نستطيع ان نؤكد وهذا ما يعرفه المؤمنون، نحن في مسيرة متشابكة متراصة، لا يفرقنا الا الموت انشاء الله.

س - ماذا جرى في طهران ودمشق؟

ج - لنا في طبيعة الحال مع اخوتنا في طهران لقاءات متكررة ومستمرة باعتبار ان ولاءنا كما قلت للامام الخميني كونه نائب الامام المعصوم. وارتباطنا بالامام الخميني يتم طبعاً في الامور الاجرائية والتنفيذية من خلال قيادة الثورة، التي هي قيادتنا. وفي دمشق، تجمعنا مع الاخوة السوريين مواجهة العدو الواحد، والامبريالية الواحدة اي اميركا. فمن الطبيعي ان ينسق الذين يجمعهم خندق واحد. نحن باستمرار في لقاءات مع الاخوة المسؤولين في سوريا ايضا للتنسيق في المعركة الواحدة.

س - ما رأيك في الشعارات التي اطلقها مرافقو الوزير نبيه بري في حوش الامراء - زحلة مثلا "يا دكه يا مكة" و"المسيحي خنزير"؟

ج - اذا كنا نختلف في بعض الامور الاساسية مع الاستاذ نبيه بري فهذا لا يعني اننا نستطيع ان نحكم عليه وعلى بعض مرافقيه بما لا نعلم. انا لم اسمع بهذا الا منك انت الآن. استبعد هذا. ولكن اذا كان حصل فهو خطأ. فمن له علاقة بمدرسة الامام الصدر لا يمكن ان يتنكر للقيم، وهذه الشعارات التي ذكرتها هي بعيدة عن القيم، واستبعد هذا فعلا، على رغم وجود الخلاف بيننا وبين الاستاذ بري وبعض العاملين معه، ولكن اذا كان حصل فهذا خطأ وغير مقبول ابداً. واعتقد حتى الاستاذ بري لا يقبله. كيف يستطيع الانسان ان يعتبر المسيحي "خنزير". كيف يكون من اتباع محمد من يعتبر اتباع المسيح خنازير؟ هذا غير مقبول لا في شريعة الله ولا في شريعة محمد... في شريعة الاسلام ليس مقبولا هذا. نحن نقرأ في القرآن الكريم: "ولتجدن اشد الناس مودة للذين آمنوا النصارى" النصارى في قرآننا هم اقرب الناس مودة.

س - ذكر بعضهم ان مهرجان بعلبك الذي اقامته حركة "امل" قبل فترة، والقى خلاله الوزير بري خطابه المعروف، فُسِّر كتحد لـ "حزب الله" ولحركة "امل الاسلامية"، مما ارتد اشتباكات في الجنوب وبيروت، فهل هذا صحيح؟.

ج - لا شك ان مهرجان بعلبك في ٣١ آب مع الاسف الشديد، كان بدافع التحدي، حيث اختيرت بعلبك، هذا اكيد ولا نقاش فيه. لكن نحن امام الله تعالى شعرنا بمسؤولية كبيرة وهي انه اذا خضعنا لردة الفعل فلن يكون ذلك في مصلحة لبنان ولا المسلمين ولا الشيعة ولا اي مستضعف في هذه البلاد. ونكون كالذي وقع في الفخ. اكان فلاناً او آخر هو الذي نصب هذا الفخ. فنحن عندنا من النضج السياسي والشعور بالمسؤولية وعندنا من الحرص على سلامة الولد عندنا مستوى الا نقبل بقمسة الولد. على هذا الاساس لن نتصارع مع اي فريق شيعي او مسلم او مسيحي ليست له علاقة مع اسرائيل. المسيحيون الذين ليست لهم علاقة مع اسرائيل، والذين لا يعلنون علينا حرباً، نحن لسنا في حرب معهم. حربنا مع اسرائيل. فلذلك سامح الله من كاد ان يقع في الفخ ويوقعنا به.

س - ما هو شرطك للمصالحة مع الوزير بري؟.

ج - ان يمتثل واقعاً وان يلتزم ميدانياً وعملياً بقيادة الامام الخميني الذي يطرح هو انه ملتزم قيادته. عندما يكون التزامه الولاء للقيادةالتي نحن نظرياً مجمعون عليها ومعها، لا يعود هناك خلاف.

س - الخلاف اذا فقط على الولاء للامام الخميني؟.

ج - الولاء للامام الخميني الذي له ترجمة ميدانية على الارض. الثورة الاسلامية تطرح رفضاً جبركاً ورفض التعامل معها، الاستاذ نبيه يتعامل مع الاميركيين. الامام الخميني والثورة الاسلامية يطرحان استمرار المعركة مع اسرائيل حتى ازالتها، الاستاذ او بعض الناس الآخرين يقولون لسنا معنيين وحدنا بقتال اسرائيل، وخروجها من الجنوب يكفي. المهم، هناك امور كثيرة، ليس فقط الولاء بمعنى التشريفات، فالمقصود الولاء الحقيقي في المواقف السياسية.

حاوره: حنا صو

«أمم» في أبحاثها

تستكمل «أمم للتوثيق والأبحاث» نشرَ مجموعة أبحاثها في إطار مشروع «تواريخُ مُتَقاطعَة. حِصة الشّيعة منها في لبنان» وتعرض بحث العلاقة بين الشّيعة في لبنان والفلسطينيّين المعنون «شيعة لبنان والفلسطينيّون، تاريخ متشارَك و«قضية» تُستثمر». في ما يلي نعرض ملخّصًا عنه وعرضًا لأهمّ محطّاته:

رغم أن جغرافية المكان حتَّمت وجود علاقات بين أهالي طرفي «الجليل» الأعلى والأدنى، ورغم أن الجغرافيا حتَّمت تاريخ متشارَك، إلّا أنّ هذا التشارُك لم يصل إلى الوحدة بفعل التبايُن المذهبي الدّيني. ومع حدوث «النكبة» عام ١٩٤٨، تشعّب هذا التاريخ بفعل اللجوء الفلسطيني إلى لبنان، وتبنّي العديد من الأطراف اللبنانيين القضية الفلسطينية، فإنَّ التفاعُلات والعلاقات المتبادَلة بين هاتين الجماعتين قلَّما حظِيت باهتمامٍ موازٍ. ومن هنا كان من الضروري أن تَفرُد أُمم مجالًا في أبحاثها لرَصْد العلاقة الشيعية الفلسطينية في لبنان بمختلف أوجُهها ومختلف محطاتها.

يعود تشارُك التاريخ بين جبل عامل وفلسطين عمومًا، وشمالها على وجه الخصوص، بداية إلى مُسمّاه الجغرافي، حيث كان يُطلَق على جبل عامل تسمية «الجليل الأعلى» وشمالي فلسطين «الجليل الأدنى»، ثم إلى دخول بلاد الشام تحت الحُكم الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حيث كان الجليل يقبَع ضمن منطقةٍ إداريّة واحدة. ومع انتشارِ الشيعةِ في لبنان، وضمنًا في جبل عامل، استمر هذا التشارُك بين الجبل (الجليل الأعلى) وشمالي فلسطين (الجليل الأدنى)، وإن بأسماءَ مختلفة، خلال الفترات، العباسية والفاطمية والصليبية والمملوكية والعثمانية، حتى إعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠، حيث تمَّ الفصل بين جبل عامل وفلسطين رسميًّا، بعد أن ضُمَّ الجبل إلى لبنان الكبير. وقد شهِدت هذه الفترة الطويلة من تاريخ المنطقة أحداثًا كثيرةً وتبدُّلاتٍ للظروف السياسيَّة، كالحمَلات الصليبية في الفترة العباسية، والفترة العثمانية التي شهِدت أوَّل تحالُفٍ سياسيٍّ وعسكريٍّ بين العامليين بقيادة ناصيف النصّار والصفَديين بقيادة ظاهر العُمر.

ومع إعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ استمر التشارُك بين أهالي المنطقتين اقتصاديًّا، إذ ارتبط الجبل بعلاقاتٍ يوميَّة مع الشمال الفلسطيني على مستوى التجارة والعمل. ومع بدء الأحداث في فلسطين، تفاعَل اللبنانيون الشيعة مع هذه الأحداث، حيث تطوَّرت في تلك الفترة حركة شراء الأراضي من قِبَل الحركة الصهيونية التي باعَ لها عددٌ من اللبنانيين الشيعة أراضٍ بينما رفضَ آخرون. وعلى مستوى التضامن مع القضية الفلسطينية شارَكَ عددٌ من شيعة جبل عامل والبقاع، على المستويين الشعبي والرسمي، في دعم القضية الفلسطينية سواءً بالاحتجاجات ومقترحات القوانين أو حتى بالدعم المالي والعسكري الذي استمر حتى سنة ١٩٤٨.

بعدَ العام ١٩٤٨ وحتى بداية الحرب الأهلية اللبنانية سنة ١٩٧٥، شهِدت العلاقةُ بين الشيعة اللبنانيين والفلسطينيين عدَّة تطوراتٍ وتبدّلاتٍ دراماتيكية ترَكت أثرَها، إيجابًا وسَلبًا على هذه العلاقة، ابتداءً باللجوء الفلسطيني إلى جنوب لبنان واستقبال الجنوبيين لهم واحتضانهم، مرورًا بنشوء حركة التحرير الفلسطيني «فتح» وبروز ما يُعرف بـ«الكفاح المسلح»، وبعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ ومعركة الكرامة سنة ١٩٦٨ ولجوء الفصائل الفلسطينية إلى لبنان سنة ١٩٧٠ بعد أحداث أيلول الأسود والذي سبَقه توقيع اتفاق القاهرة سنة ١٩٦٩ بين السلطة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية، انتهاءً بالأحداث الأمنية التي وقعت سنة ١٩٧٣. وقد ناصَرَ اللبنانيون، والشيعة بأغلبيتهم، الفلسطينيين بشكلٍ واسع سواءً بالانخراط الكبير للشباب الشيعي في الفصائل الفلسطينية المختلفة وفي الأحزاب اليسارية المتحالفة معها، أو بالانخراط في ما بعد بحركة موسى الصدر التي ربطَتها بالفصائل الفلسطينية علاقةٌ معقّدة ومتشابِكة تتنوّع بتنوّع هذه الفصائل، ثم مالَت إلى التبايُن مع تحالُف الصّدر مع السوريين، وتمظهَرت بعد اندلاع الحرب الأهلية من خلال اشتباكاتٍ عسكرية محدودة في بعض مناطق بيروت والجنوب، لعل أبرزها حصار النّبعة وسقوطها بيَد الميليشيات المسيحية، وما أعقب ذلك من تبادُلٍ للاتّهامات بين حركة أمل وموسى الصّدر تحديدًا، وبين بعض الفصائل الفلسطينية اليسارية وأطرافٍ لبنانية أخرى، إضافةً إلى اجتياح ١٩٧٨ الذي كان، بصورةٍ أو بأُخرى، دليلًا بيِّنًا على المآل الذي صارَت إليه العلاقة الشيعية الفلسطينية في لبنان.

شكّل العامان ١٩٧٨ و١٩٧٩ نقطتين مفصليّتين في تاريخ العلاقة الشيعية الفلسطينية، حيث شهِدَ العام ١٩٧٨ إخفاء الصّدر في ليبيا وتفاعُل الفلسطينيين، وياسر عرفات تحديدًا، مع القضية، وما حُكي عن دورٍ فلسطيني لبعض الجماعات، مثل جماعة صبري البنّا (أبو نضال)، في إخفاء الصّدر أو حتى اغتيالِه. بينما شهِد العام ١٩٧٩ وصول الخميني إلى السّلطة في إيران وانفتاحِه على الفلسطينيين بقيادة ياسر عرفات وزعمِه دعم القضية الفلسطينية، وظهر هذا التحالف مع قضية المتطوّعين الإيرانيين الذين قرّرت إيران إرسالُهم مطلع العام ١٩٨٠ إلى جنوب لبنان، كمفرَزة متقدِّمة للحرس الثوري الإيراني، والتي حظِيَت بتأييدٍ واحتضان فلسطينيّين ومعارضةٍ رسمية شيعيةٍ، فيما الحرب العراقية الإيرانية كانت محلّ حرَج بين عرفات والخميني، فتصدّرت «حركة أمل» المدعومة إيرانيًّا المواجهة مع الفصائل الفلسطينية الموالية للعراق، كجبهة التحرير العربية، والتي تطوَّرت إلى اشتباكاتٍ محدودةٍ في بعض المناطق اللبنانية وعمليات اغتيال، وسط إرباك وموازنة من عرفات الذي بدأ يُظهر في حركته النزعة الخمينية مع تقلُّب حال «الكتيبة الطلابية»، وظهور بعض التأثُّر الدّيني في كوادر الحركة العسكريين والأمنيين.

لعلَّ احدَ أكثر الصفحات دمويّة في تاريخ العلاقة الشيعية الفلسطينية هي الفترة التي وقعت فيها حرب المخيّمات بين سنتي ١٩٨٥ و١٩٨٨، حيث أدَّى الصراع الذي كان قائمًا بين حافظ الأسد وياسر عرفات للإمساك بالساحة اللبنانية وبالقرار الفلسطيني إلى تزكية الصراع بين أمل ومنظمة التحرير الفلسطينية وتحويله إلى حربٍ داميةٍ بدأت في بيروت وما لبثت أن انتقلت إلى كل المخيّمات الواقعة في محيطٍ شيعيٍّ أو ذي غالبيةٍ شيعية، وأدّت في ما أدّت إلى وقوع ألوف الجرحى والقتلى من الجانبين.

ومع تطوُّر وقائع حرب المخيّمات كانت مواقف الشَّخصيات الشيعية، غير المنتمية لـ «حركة أمل»، تُجمعُ تقريبًا على رفْض الحرب وضرورة وقْف القتال، باستثناء «حزب الله» الذي عارَضَ بدايةً حرب المخيَّمات لكنَّه شارَكَ عمليًّا في بعض المعارك إلى جانب الفصائل الفلسطينية الإسلامية بمواجهة «أمل»، كما حصل في مخيَّم الرشيديَّة على سبيل المثال. وعلى سجيّة حرب المخيمات، انقسم الفلسطينيون في حرب «أمل وحزب الله» وخاصة في إقليم التفاح في جنوب لبنان بين تدخُّلٍ لصالح طرفٍ دون آخر وبين التوسُّط بين الطرفين المتقاتلين، كما فعَلت «حركة فتح» في آخر المعارك عام ١٩٩٠. ولم يكن مستغربًا هذا الوضع، بفعل تشرذُم الفصائل الفلسطينية بين جماعات تتبَع للسوريين وأخرى تستظلُّ بمنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات.

ومع انتهاء الحرب الأهلية وتوقيع اتفاق الطائف، شهِدت العلاقةُ الشيعية الفلسطينية تطوُّراتٍ كثيرةً بدءًا بتوقيع اتفاق أوسلو سنة ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل برعاية أميركية، حيث نشأ على خلفيته تحالُف لبناني فلسطيني سُمّي «تحالف القوى الوطنية والتقدمية والفصائل الفلسطينية» كان عمادُه «حزب الله» بشكل أساسي و«حركة أمل» والأحزاب اللبنانية الدائرة في الفلك السوري والفصائل الفلسطينية الموالية لسوريا وإيران، لمواجهة «منظمة التحرير» و«حركة فتح» في خياراتها، وتظهَّر التحالُف الإسلامي الفلسطيني مع «حزب الله» من خلال بروز حركَتي «الجهاد الإسلامي» و«حماس»، وكانت إيران الراعية المباشرة لهذا التحالُف. وبدأ «حزب الله» يضع أياديَ له في المخيّمات الفلسطينية، فيما التزمت «أمل» التعاون والتواصُل مع الفصائل في المخيّمات التي في مناطق سيطرتها ولا سيما مخيّمات صور.

بعد الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب عام ٢٠٠٠، وبعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري والانسحاب السوري عام ٢٠٠٥، أيّد الثنائي المهَيْمن على الواقع الشيعي، «حزب الله» و«حركة أمل»، في مؤتمر الحوار الوطني في آذار ٢٠٠٦ قرار سحب السلاح الفلسطيني من خارج المخيّمات والتحاور حول نزعه داخلها، دون إجراء أي تنفيذ عملي لهذه القرارات. كما شهِدَ العام ٢٠٠٧ أحداث مخيّم نهر البارد الذي عارَضَ «حزب الله» انهاءَه عسكريًّا ودعا إلى حلّه سياسيًّا مُعتبرًا أنّ المخيّم هو «خط أحمر». وخلال تلك الفترة بدأت تبرز العلاقة بين السّلَفية الجهادية الفلسطينية و«حزب الله» والتنسيق القائم بين الطرَفين، كـ «عُصبة الأنصار» و«جُند الشام» وغيرهما حيث ظهرت نقاط الالتقاء والتوظيف في الكثير من المحطات.

مع اندلاع الثورة السورية تباينَت الآراء بين «حزب الله» المؤيِّد للنظام السوري والمقاتِل إلى جانبه، و«حركة حماس» التي عارضَت بدايةً النِّظام السوري وحلفائه أضحى هناك نفور في المخيمات، لا سيما في مخيّم عين الحلوة، بين أهاليها والحزب...، فقاموا بإحراق المساعدات التي أمدَّ فيها الحزب اللاجئين الذين هجَّرهم من مخيّم اليرموك في سوريا، ولم تلبَث العلاقة، في ما بعد، أن عادت إلى سابق عهْدِها بين الحزب و«حماس» وإيران والنظام السوري.

في السنوات الأخيرة أضحى رئيس مجلس النواب ورئيس «حركة أمل» نبيه بري و«حزب الله» يقومان بمبادرات لإجراء مصالحةٍ بين حرّكتي «فتح» و«حماس» ويلعب بري دور الراعي الرسمي، كما أن الحزب أنشأ وحدة للعلاقات مع الفلسطينيين، تُتابع العلاقات، وهناك مسؤول للعلاقات الفلسطينية هو حاليًا النائب السابق حسن حب الله. وبالتالي تحوّلت العلاقات بين شيعة لبنان والفلسطينيين من تشارُك في التاريخ والجغرافيا إلى استثمار واستثار لـ «حزب الله» بقضية الفلسطينيين وتدخّل في علاقاتهم ومخيّماتهم.

انطلاقًا من ضرورةِ دراسة هذه العلاقة بالكثير من التفصيل والتجرُّد، كان هذا البحث الذي يقعُ في مقدمةٍ وخمسة فصول وخلاصةٍ عامة. قدَّم الفصل الأول لمحةً تاريخيَّة عن العلاقة الشيعية الفلسطينية منذ بداية الحُكم الإسلامي للمنطقة وحتى انتهاء الحُكم العثماني لها؛ بينما تناول الفصل الثاني العلاقة بين الانتداب والعام ١٩٤٨ وقيام إسرائيل؛ أمَّا الفصل الثالث فيشرَح العلاقة بتطوّراتها بين سنَتي ١٩٤٨ و١٩٧٥؛ ويُكمل الفصل الرابع عرْض هذه التطوّرات في فترة الحرب الأهلية اللبنانية وتأثُّر هذه العلاقة سلبًا وإيجابًا، وتأثيرًا وتأثُّرًا بمجرَيات الحرب؛ أمَّا الفصل الخامس والأخير فيعرِض العلاقة بعد اتفاق الطائف سنة ١٩٨٩ وحتَّى تاريخ كتابة سطور هذا البحث.

تحيّة للقمان

العدالة للقمان

بسم الله الرحمن الرحمن
قال الله تعالى (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) صدق الله العظيم.

بمزيد من الأسى والحزن أنعى إلى اللبنانيين وكل الأحرار في العالم الأستاذ لقمان سليم، الذي اغتالته يد الغدر اليوم، لقد كان مدافعًا شجاعًا عن مشروع الدولة، ومناضلًا مقدامًا ورافضًا لهيمنة السلاح خارج المؤسسات الشرعية.

لقد أفجعنا رحيلك يا لقمان، يا صاحب المواقف الجريئة والرأي الحر. وفي يوم رحيلك نجدد العزم والإصرار مع إخوانك الأحرار على مواصلة الدرب وإبقاء رسالتك حيّة ومتجذرة في المسيرة السلميّة الوطنية العابرة للطوائف والمذاهب، والساعية إلى إلغاء هيمنة السلاح غير القانوني الذي يسيطر على الدّولة ويعمل على إلغاء الرّأي الآخر.

لقد كنت من روّاد هذه المسيرة في طائفتك الشيعية الكريمة، ومن الرافضين لاختطافها من لبنان وإلحاقها بسياسة النظام الإيراني والمحاور الإقليمية والدولية، ورفضت عزلها عن شركائها في الوطن ورفضت إبعادها عن محيطها العربي.

بعد اغتيالك الآثم، لن يتوقف النّضال بالكلمة والموقف، وسيستمر بمزيد من الوعي والتّضامن، ولن ترهبنا تلك الرصاصات الغادرة التي أطلقتها عليك يد القمع والإجرام.

رحمك الله يا لقمان، يا شهيد الموقف والكلمة، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

العلاّمة السيد علي الأمين ناعيًا لقمان سليم

أفضل الموت القتل..
وداعاً لقمان سليم

قبل أقل من ٤٨ ساعة من اغتياله خابرني؛ أهم ما قاله لي بأن المرء بات لا يعرف كيف يوزّع حزنه نتيجة كثرة عدد الموتى الذين يرحلون في خضم وباء كورونا، واليوم أعرف جيدًا كيف أن حزن الفراق وحده يتملّكنا..

هذا الحزن العميق، الذي لا يمكن أن يوصف؛ وبنفس الوقت أعتز وأفرح له بهذه الشهادة؛ انسجاماً مع قول علي (عليه السلام): «**أفضل الموت القتل**» ففي رواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «**أيّها الناس إنّ الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، من لم يقتل مات، إنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش**».

وهكذا، لقمان الثائر، والمفكر، والسياسي، والمثقف، والمجاهد البطل، لا يمكن أن يموت «على فراش!» لقمان، هذا عهدي بكم، وأيضًا عهدك بي.

فلا أنسى أنه هو من نشر وصيتي: «**وصية مودع**» بعد أن نشرتها أسبوعية «الشراع» اللبنانية، فعاود نشرها ضمن منشوراته؛ وكأنه كان يؤكد موافقته على مضمونها، ويتبناها.. بأن الخوف من الموت لا يمكن أن يدخل إلى قلوبنا، بل الخوف أن نكون مجرد أموات في مجتمع مات فكريًا واجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا.. بل ودينيًا.

تعاونا كثيرًا، على مدار قرابة عقد ونصف من الزمن، في الشأن السياسي، والاجتماعي، والثقافي.. في حلّنا وترحالنا، في السفر والحضر.

حينما استشرى الفساد في مؤسسة «المجلس الشيعي» تعاونا معًا، وتقدمنا بدعوى لدى «مجلس شورى الدولة»، بالتعاون مع المهندس راشد صبري بك حمادة!

شكلنا معًا ثالوثًا مع الصحفي علي الأمين، كان همنا فك قيد الاحتكار والتسلط، وها هو الاحتكار يصارع في أيامه الأخيرة، وأدلُّ دَليل على ذلك هو هذه الجريمة النكراء التي لن تكون تداعياتها محدودة..

إن ما يخفف الخطب هو أنه لو قيض للقمان أن يخاطبنا من علیائه؛ لتوجّه بالشكر الجزيل لمن قتله، لأن لقمان هو الأدرى بمدى فاعلية دمائه التي ستروي عطش ديمقراطيتنا وساحتنا ولبناننا، وستساهم في خلق تنوع سعى إلى تعزيزه الراحل.. عذرًا أخي لقمان؛ لكن لطالما تحدثنا بأن التغيير لا يمكن أن يتحقق من دون دماء زكية طاهرة، وها أنت أكرم وأول المتبرعين.

حسبك يا لقمان أنك لا تموت في مجتمع ميت، ولطالما أعجبتك المقولة التي أرددها دائمًا، والتي استفدتها من الرهبان، وأنا مقتنع بها تمامًا، وأكررها دوماً، وأنت استلطفتها: «**إن متَ قبل أن تموت، فلن تموتَ عندما تموت**» وأنت يا لقمان تشهد وتشاهد وتستشهد؛ ولكن لا تموت.

بقلم الشيخ محمد على الحاج العاملي

مجلة الشراع ٤ شباط ٢٠٢١

سير التّحقيق

العدالة للقمان

٣ شباط ٢٠٢١: اغتيال لقمان سليم في سيارته في منطقة العدوسية أثناء عودته من نيحا في جنوب لبنان.

٤ شباط ٢٠٢١: كلّف النائب العام الاستئنافي في الجنوب القاضي رهيف رمضان الأدلة الجنائية والطبيب الشرعي الدكتور عفيف خفاجة للكشف على جثة وسيارة لقمان سليم.

٤ شباط ٢٠٢١: كلّف النائب العام الاستئنافي في الجنوب القاضي رهيف رمضان فرع المعلومات بإجراء مسح كامل للكاميرات لمعرفة المسار الذي سلكته سيارة لقمان سليم قبل اغتياله وبتفريغ «داتا» هاتفه الخلوي وتحليلها.

١١ شباط ٢٠٢١: رأس النائب العام الاستئنافي في الجنوب القاضي رهيف رمضان، في مكتبه في قصر العدل في صيدا، اجتماعا أمنيًا موسعًا مع قادة الأجهزة الأمنية والعسكرية في الجنوب، وذلك لمتابعة مسار التحقيقات في جريمة قتل الناشط لقمان سليم. وجرى خلال الاجتماع «تأكيد مواصلة التحقيقات والتنسيق التام ما بين الأجهزة الأمنية للتوصل إلى كشف الفاعلين».

٢٨ نيسان ٢٠٢١: لفت مكتب وزير الداخليّة والبلديّات في حكومة تصريف الأعمال محمد فهمي حول قضية اغتيال لقمان سليم إلى أنّ «أيّ جديد لم يظهر في القضيّة لدى الأجهزة الأمنية اللبنانيّة إطلاقًا»، متمنّيًا «تزويد الأجهزة الأمنيّة بأيّ معلومة قد تخدم مصلحة التحقيق».

١٨ أيار ٢٠٢١: النائب العام الاستئنافي في الجنوب القاضي رهيف رمضان إدعى في جريمة اغتيال لقمان سليم والتي

وقعت في ٤ شباط الماضي في بلدة العدوسية، على مجهولين بخطف سليم بقوة السلاح وقتله بواسطة أسلحة حربية غير مرخّصة وذلك سندًا للمادتين ٥٦٩ و٥٤٩ من قانون العقوبات والمادة ٧٢ من قانون الأسلحة، وإصدار كل مذكّرة يقتضيها التحقيق لمعرفة هوية الفاعلين وتوقيفهم. وأحال الادعاء على قاضي التحقيق الأول في الجنوب مارسيل حداد.

١٩ أيار ٢٠٢١: تقدم النائب العام التمييزي القاضي غسان عويدات أمام محكمة التمييز الجزائية- الغرفة السادسة، بطلب نقل ملف الدعوى القائمة أمام دائرة التحقيق في لبنان الجنوبي بموجب ورقة الطلب رقم ٢٠٢١/٢٠٩٤ إلى دائرة التحقيق في بيروت سندًا لأحكام المادة ٣٤٠ أم.ج، وأدلى بأن التحقيق والمحاكمة في قضية خطف المغدور لقمان سليم وقتله في الجنوب قد تشكّل سببًا لزعزعة الأمن أو تهديدًا للسلامة العامة نظرًا للتشابك السياسي في المنطقة والموقع الجغرافي للمحكمة ولا سيّما أن خطر استعمال إجراءات التحقيق أو المحاكمة في القضية المذكورة للعبث في الأمن الداخلي، يبقى قائمًا في ظلّ الأوضاع العامة في البلاد، لا سيّما الجنوب.

١٧ حزيران ٢٠٢١: في حضور ممثل النيابة العامة، أصدرت محكمة التمييز الجزائية ـ الغرفة السادسة، برئاسة القاضي سهيل الحركة رئيسًا والقاضيين فرانسوا إلياس وفادي العريضي مستشارين، قرارًا بالموافقة على طلب النائب العام التمييزي، وأحالت الملف إلى النائب العام التمييزي لإجراء المقتضى القانوني.

١٨ حزيران ٢٠٢١: أحالت النيابة العامة التمييزية على النيابة العامة الإستئنافية في بيروت ملفّ مقتل الناشط والكاتب السياسي لقمان سليم، وأُحيل الملفّ على قاضي التحقيق الأول في بيروت بالانتداب شربل أبو سمرا.

١٢ أيار ٢٠٢٣: أوردت محطة الجديد في برنامج يسقط حكم الفاسد خبرًا عن تحويل قاضي التحقيق في بيروت شربل أبو سمرا كتابًا إلى النيابة العامة التمييزية للطلب من السلطات الألمانية تقديم ما لديها من كاميرات ومستندات تفيد التحقيق...

لا يزال التحقيق «مستمرًا» حتى يومنا.....